مجلة قطاع أصول الدين

مجلة علمية مُحكّمة

رئيس مجلس الإدارة

أ.د.عبد الفتاح عبد الغني العواري

عميد كلية أصول الدين بالقاهرة

العدد الحادي عشر

١٤٣٧هـ -٢٠١٦م

الجزء الثاني

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية

الترقيم الدولــــــــــــــــــــــــى

طبع تحت إشراف

مكتبة الإيمان

للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان: ٤ ش أحمد سوكارنو العجوزة – الجيزة - مصر

هاتف : ٣٣٤٥٢٣٠٢ ـ ف ٣٣٠٤٤٨٤١

الموقع الاليكتروني: www.elemanlibrary.com

البريد الاليكتروني : elemanliblary@gmail.com

مجلس إدارة المجلــة

١- رئيس القطاع و عميد كلية أصول الدين بالقاهرة — رئيساً
٢- عميد كلية أصول الدين بأسيوط — عضواً
٣- عميد كلية أصول الدين بطنطا — عضواً
٤- عميد كلية القرآن الكريم بطنطا — عضواً
٥- عميد كلية أصول الدين بالمنصورة — عضواً
٦- عميد كلية الدعوة بالقاهرة — عضواً
٧- عميد كلية الدراسات الإسلامية و العربية بنات - بالقاهرة — عضواً



وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

صدق الله العظيم


٧٧٢

مقومات الشخصية الناجحة
كما يصورها حديث

" المؤمن القوي خير وأحب إلى اللّه تعالى من المؤمن الضعيف ... "

تأليف

راجي عفو ربه الكريم

الدمراني عبد اللّه عبد الغني سعد

مدرس الحديث وعلومه بكلية الدراسات الإسلامية

بدمياط الجديدة ـ جامعة الأزهر

١٤٣٧ هـ ـ ٢٠١٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله تعالىٰ نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالىٰ فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] ، أما بعد+ فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

إن أهم الصناعات التي ينبغي أن يعتني بها من يرغب في صناعة الحضارة هي صناعة الإنسان وصياغته لكي يكون مؤهلا لصنع الحضارة فهو – بلا شك – أهم عناصرها ، وتبذل في هذه الآونة جهود كبيرة للعناية بالإنسان ، وتنمية قدراته ، وفي السنة النبوية المشرفة معالم بارزة للعناية بالإنسان ، وتقوية ملكاته ، وإعداده لتحمل مسئولياته .

لقد التحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلىٰ ، وترك لنا كنزا عظيما هو السنة النبوية المشرفة ، ويخطئ الكثير منا حين ينظر إلىٰ السنة علىٰ أنها مجموعة من الأوامر والنواهي من امتثلها دخل الجنة ، ومن خالفها دخل النار ، ولا شك أن هذا تصور قاصر ، فالسنة فوق هذا مشروع حضاري لبناء الإنسان الناجح ، والمجتمع الناهض ، وإن أدنىٰ تفحص للسنة المشرفة يشهد وبقوة لاحتفال النبي ﷺ ببناء الإنسان ، وتقديم بناء الإنسان علىٰ البنيان ، وليس أدل علىٰ ذلك من سيرته الطاهرة التي تظهر لنا بجلاء كيف حول خامات الجاهلية إلىٰ نفائس بشرية استطاعت في وقت وجيز أن تفتح بلاد الدنيا ، وأن تهزم أكبر حضارتين في ذلك الوقت ، وأن تبني حضارة شهد لها القاصي والداني ، وصدق فيه قول القائل :

يبني الرجال وغيره يبني القرىٰ ... شتان بين قرىٰ وبين رجال[1]

يقول أبو الحسن الندوي : " لقد بعث رسول الله ﷺ في الإنسانية المحتضرة حياة جديدة ، وعمد إلىٰ الذخائر البشرية وهي أكداس من المواد الخام لا يعرف أحد غناءها ، ولا يعرف محلها وقد أضاعتها الجاهلية والكفر والإخلاد إلىٰ الأرض فأوجد فيها بإذن الله الإيمان والعقيدة وبعث فيها الروح الجديدة ، وأثار من دفائنها وأشعل مواهبها ، ثم وضع كل واحد في محله فكأنما خلق له ، وكأنما كان المكان شاغراً لم يزل ينتظره ويتطلع إليه ، وكأنما كان جماداً فتحول جسماً نامياً وإنساناً متصرفاً وكأنما كان ميتاً لا يتحرك فعاد حياً يملي علىٰ العالم إرادته وكأنما كان أعمىٰ لا يبصر الطريق فأصبح قائداً بصيراً يقود الأمم ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ [الأنعام : ١٢٢] ، عمد إلىٰ

---

(١) نسبه في حماسة الظرفاء ص ٣٥ لعيسىٰ بن خالد ، وهو أبو سعيد (ويقال : سعد) عيسىٰ بن خالد بن الوليد، من ولد الحارث بن هشام بن المغيرة المخزوميّ، بغدادي كثير الشعر جيّده ، هجاه دعبل هجاء مقذعا ، مات نحو سنة ٢٣٠هـ [معجم الشعراء ص ١٣٠ ، سمط اللآلي ١٧٨] .

وجاء في المحاسن والمساوئ ص ١٦٤ ، ونثر الدر ٣/ ٧٨ : أن المأمون نظر يوماً إلىٰ ابنه العباس وأخيه المعتصم ، فابنه العباس يتّخذ المصانع ويبني الضياع ، والمعتصم يتّخذ الرجال فتمثل بهذا البيت .

الأمة العربية الضائعة ، وإلىٰ أناس من غيرها فما لبث العالم أن رأىٰ منهم نوابغ كانوا من عجائب الدهر وسوانح التاريخ ... لقد وضع محمد ﷺ مفتاح النبوة علىٰ قفل الطبيعة البشرية فانفتح علىٰ ما فيها من كنوز وعجائب وقوىٰ ومواهب ، أصاب الجاهلية في مقتلها أو صميمها ، فأصمىٰ رميته ، وأرغم العالم العنيد بحول الله علىٰ أن ينحو نحواً جديداً ويفتتح عهداً سعيداً ، ذلك هو العهد الإسلامي الذي لا يزال غرة في جبين التاريخ "[1] .

ومن الأحاديث النبوية التي تضع أسسا مهمة لصناعة الإنسان قول النبي ﷺ :

" المؤمن القوي ، خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص علىٰ ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شيء ، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان " .

وعلاقتي بهذا الحديث ترجع إلىٰ قرابة عشر سنوات حين وقفت علىٰ كتاب للدكتور فالح بن محمد الصغير – وفقه الله – بعنوان : " حديث المؤمن

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٠٢ ، ١٠٤ .

القوي وقفات وتأملات " ، وقد قرأت الكتاب بعناية ، وشعرت يومها بأن الحديث أكبر بكثير من شرح المؤلف وفقه الله تعالىٰ[1] .

لقد كان هذا الحديث منذ قرأته بتأمل رافدا من روافد القوة التي أفدت منها في حياتي ، ونصحت به جملة من إخواني الذين سألوني المشورة أو ذكروا لي بعض ما تعرضوا له من إخفاق ، وكنت – ولا زلت – أتناول هذا الحديث بالشرح والتحليل في المساجد التي أدرس أو أخطب فيها ، وأبين ما ينطوي عليه من عناصر التفوق والنجاح .

والحديث – علىٰ وجازة ألفاظه – يشتمل علىٰ مقومات ستة للنجاح لا أظن أن المسلم يحتاج إلىٰ شيء زائد عليها ليكون شخصا ناجحا ، والنجاح الذي يكفله لنا هذا الحديث نجاح علىٰ المستوىٰ الديني والدنيوي ، ونحن الآن – في هذا الوقت الذي طغت فيه المادية – في أمس الحاجة إلىٰ ربط

---

(١) ليس هذا تقليلا من شأن المؤلف – حفظه الله تعالىٰ – بقدر ما هو تعظيم لحديث النبي ﷺ ، لقد كان شرحا تقليديا لم ينفذ – فيما أرىٰ – إلىٰ عمق الحديث ، ولم يخرج عما كتبه الشراح الذين تناولوه بالشرح ، هذا مع اعترافي بفضله في لفت نظري ، ونظر غيري ممن قرأ الكتاب إلىٰ قيمة هذا الحديث فجزاه الله عنا خيرا .

فهو بسبق حائز تفضيلا ... مستوجب ثنائي الجميلا

النجاح في الدنيا بالنجاح في الآخرة ، فلا قيمة لنجاح إنسان في الدنيا مع خلو قلبه من محبة الله تعالىٰ وخشيته ، والإنابة إليه .

لقد لاحظت – كما لاحظ غيرىٰ – انكباب كثير من الشباب علىٰ الكتب التي تعني بتنمية الذات ، ووسائل تحقيق النجاح ، وهي ظاهرة صحية لكن الأمر المخوف هو أن ينغمس هؤلاء الشباب في البحث عن النجاح الدنيوي المادي فيخفقوا في اختبار الآخرة ، وأن تلهيهم حاجات البدن عن حاجات الروح ، وأن ينخدعوا بالثقافة الغربية التي لا تعرف الخشوع .

" إن تمجيد الثقافة الأمريكية المعاصرة للإنجاز في العمل ، وتقويمها العظيم للتنافس والتفوق والنجاح قد أدىٰ إلىٰ ظهور كثير من الدراسات في المجتمع الأمريكي حول الدافع إلىٰ الإنجاز ومستوىٰ الطموح والتنافس مع الابتعاد عن الاهتمام بالنواحي الروحية والدينية "[1] .

ونظرا لحاجة المسلمين إلىٰ إبراز ما اشتمل عليه هذا الحديث الجليل من أسس مهمة للرقي بالإنسان ، والانطلاق به نحو ما هو أفضل فقد كتبت هذا البحث رجاء أن ينتفع به من قرأه ، وليكون باعثا للعناية بالسنة النبوية المشرفة ، والإفادة من مكنوناتها الثمينة ، وإن لنا في هدي رسول الله ﷺ ما يغنيا عن التعلق بغيره .

---

(١) الحديث النبوي وعلم النفس ٨ .

وقد قسمته إلىٰ مقدمة ، وخاتمة ، وأربعة مباحث :

المبحث الأول : تخريج الحديث والكلام علىٰ أسانيده ، وألفاظه .

المبحث الثاني : شرح مفردات الحديث .

المبحث الثالث : فقه الحديث .

المبحث الرابع : مقومات النجاح كما يصورها الحديث .

هذا ، وما كان من توفيق فمنه وحده سبحانه وتعالىٰ ، وما كان من خلل فمن نفسي ، وإني لأستغفر الله تعالىٰ من كل ما زل به قلمي ، ومما أخفقت في تحقيق الإخلاص فيه ، وإليه تبارك وتعالىٰ أضرع أن يكتب لنا التوفيق في الدنيا والآخرة ، وأن يرتضينا خداما لسنة نبيه الأكرم ﷺ ، إنه بكل جميل كفيل وبالإجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم

المبحث الأول : تخريج الحديث والكلام على أسانيده وألفاظه

أخرجه الإمام مسلم في كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٤/ ٢٠٥٢/ ٢٦٦٤) قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، وابن نمير قالا : حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن ربيعة بن عثمان ، عن محمد بن يحيىٰ بن حبان ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : " المؤمن القوي ، خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص علىٰ ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شيء ، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان " .

هكذا أخرجه مسلم من طريق شيخيه أبي بكر بن أبي شيبة ، ومحمد بن عبد الله بن نمير ، ومن طريق أبي بكر ابن أبي شيبة أخرجه ابن ماجة في المقدمة ، باب في القدر (١/ ٣١/ ٧٩) ، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٥٧/ ٣٥٦) ، وأبو يعلىٰ الموصلي في مسنده (١١/ ١٢٤/ ٦٢٥١) ، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (١٠/ ٨٩/ ١٩٩٦٠) ، والأسماء والصفات (١/ ٤١٢/ ٣٣) بنحوه .

ومن طريق ابن نمير أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ ٣/ ١٢٦ ، والبيهقي في الشعب (١/ ٢١٦/ ١٩٤) ، وفي القضاء والقدر (٢/ ١٤٨/ ٤٣٩) بنحوه . لكنه قال : "شر" بدل "شيء" .

وقد رواه عن عبد الله بن إدريس سبعة غيرهما :

الأول : علي بن محمد الطنافسي(١)

أخرج حديثه ابن ماجة في المقدمة ، باب في القدر (١/ ٣١/ ٧٩) بنحوه .

الثاني : محمد بن العلاء(٢)

أخرج حديثه النسائي في الكبرىٰ ، كتاب عمل اليوم والليلة ، باب ما يقول إذا غلبه أمر (٦/ ١٦٠/ ١٠٤٦١) ، إلىٰ قوله : "وما شاء فعل" ، وأبو الشيخ في أمثال الحديث ص ٢٤٨ رقم (٢٠٩) بنحوه ، وفيه : "فإن اللو تفتح عمل الشيطان" .

الثالث : علي بن حرب الموصلي(١)

---

(١) علي بن محمد بن إسحاق الطنافسي – بفتح المهملة ، وتخفيف النون ، وبعد الألف فاء ، ثم مهملة – ثقة عابد ، مات سنة ٢٣٥هـ . تقريب التهذيب ٤٠٥ .

(٢) محمد بن العلاء بن كريب الهمداني أبو كريب الكوفي ثقة حافظ ، روىٰ له الجماعة ، مات سنة ٢٤٧ هـ . تقريب التهذيب ٥٠٠

أخرج حديثه ابن حبان في صحيحه (١٣/ ٢٩/ ٥٧٢٢) ، والبيهقي في الاعتقاد (ص ١٥٩) بنحوه ، وفيه : "فإن اللو تفتح عمل الشيطان" ، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٤١٢/ ٣٣) ، والخطيب في المهروانيات ص ٧٠٣ رقم (٥٩) ، بنحوه ، وأخرجه الخطيب أيضا في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ١١٥/ ٩٦) "إلىٰ قوله ولا تعجز " .

الرابع : علي بن المديني[2]

أخرج حديثه البيهقي في القضاء والقدر (٢/ ٤٣٨/ ١٤٧) إلىٰ قوله : " وما شاء فعل " .

الخامس : قتيبة بن سعيد[3]

أخرج حديثه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٧٢/ ٨٠١) إلىٰ قوله "ولا تعجز" .

---

(١) علي بن حرب بن محمد بن علي أبو الحسن الطائي صدوق فاضل مات سنة ٢٦٥هـ ، وقد جاوز التسعين . تقريب التهذيب ٣٩٩ .

(٢) علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح أبو الحسن بن المديني بصري ثقة ثبت إمام أعلم أهل عصره بالحديث وعلله ، مات سنة ٢٣٤هـ . تقريب التهذيب ٤٠٣

(٣) قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي أبو رجاء ، ثقة ثبت ، روىٰ له الجماعة ، مات سنة ٢٤٠هـ . تقريب التهذيب ٤٥٤ .

السادس : أحمد بن حميد الكوفي[1]

أخرج حديثه الطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٢٣٧/ ٢٦٢) بنحوه .

السابع : محمد بن عمرو بن سليمان[2]

أخرجه ابن أبي الدنيا في الرضا بقضاء الله ص ٧٩ رقم (٥٣) ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة طبعة طيبة (٤/ ٥٨٠/ ١٠٢٨) ، وطبعة المكتبة الإسلامية (٢/ ٢٩٠/ ١٠٢٨) بنحوه[3] .

---

(١) أحمد بن حميد الطريثيثي – بضم أوله ، وراء ، ومثلثتين مصغرا – يكنىٰ أبا الحسن ثقة حافظ من العاشرة ، مات سنة ٢٢٠هـ ، وقيل بعدها . تقريب التهذيب ٧٩ .

(٢) محمد بن عمرو بن سليمان ابن أبىٰ مذعور أبو عبد الله سمع عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، وجماعة ، روىٰ عنه يحيىٰ بن محمد بن صاعد وجماعة قال الدارقطني ، والسمعاني : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات . سؤالات السلمي ١١٩ ، تاريخ بغداد ٣/ ١٣٠ ، الثقات ٩/ ١٢٩ ، الأنساب ٥/ ٢٤١ .

(٣) وقع في طبعة طيبة " أحمد بن عمر بن أبي مذعق " ، وهو تصحيف ظاهر ، ووقع في طبعة المكتبة الإسلامية " محمد بن عمر بن أبي مذعور " وهو خطأ أيضا من الناسخ أو المحقق لأن اللالكائي يروي هذا الحديث من طريق الحسين بن إسماعيل المحاملي ، وهو يروي عن محمد بن عمرو لا عمر كما أفاده الخطيب في تاريخه ٣/ ٢٣ قال : روىٰ الحسين بن إسماعيل المحاملي عن محمد بن عمرو بن أبىٰ مذعور وروىٰ محمد بن

وله طريق آخر عن الأعرج يرويه محمد بن عجلان

أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٩٥/ ٤١٦٨) قال : حدثنا محمد بن الصباح ، والنسائي في الكبرىٰ (٦/ ١٥٩/ ١٠٤٥٧) قال : أخبرنا قتيبة بن سعيد ، وسليمان بن منصور ، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٢٣٦/ ٢٥٩) قال : حدثنا يونس ، وابن حبان (١٣/ ٢٨/ ٥٧٢١) قال : أخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة ، قال : حدثنا الحسين بن حريث خمستهم عن سفيان بن عيينة ، عن ابن عجلان ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، يبلغ به النبي ﷺ قال : " المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير احرص علىٰ ما ينفعك ، ولا تعجز ، فإن غلبك أمر ، فقل : قدر الله ، وما شاء فعل ، وإياك واللو ، فإن اللو ، تفتح عمل الشيطان " . هذا لفظ ابن ماجه ، والباقون بنحوه .

هكذا رواه هؤلاء الخمسة عن سفيان بن عيينة ، وخالفه عبد الله بن المبارك فرواه عن ابن عجلان عن ربيعة بن عثمان عن الأعرج .

= مخلد عن محمد بن عمر بن أبىٰ مذعور وهما ابنا عم ولم يرو المحاملي عن شيخ ابن مخلد ولا ابن مخلد عن شيخ المحاملي ، والله أعلم .

وابن عمر هو محمد بن عمر بن سليمان ابن أبىٰ مذعور أبو جعفر ، روىٰ عن روح بن عبادة ، ووهب بن جرير روىٰ عنه وكيع القاضي ، وأحمد بن محمد بن إسماعيل الآدمي ، قال الدارقطني : ثقة .

سؤالات السلمي للدارقطني ١١٩ ، تاريخ بغداد ٣/ ٢٣ ، تاريخ الإسلام ١٩/ ٣٠٦ .

أخرجه أحمد ٢/ ٣٦٦ ، ٣٧٠ قال : حدثنا خلف بن الوليد ، وعارم [هو محمد بن الفضل] ، وأخرجه النسائي في الكبرىٰ (٦/ ١٥٩/ ١٠٤٥٩ - ١٠٤٦٠) من طريق عبد الله بن محمد بن أسماء ، وحبان بن موسىٰ ، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٢٣٦/ ٢٦٠) من طريق أحمد بن جميل المروزي ، ونعيم بن حماد ، وأخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ ٣/ ١٢٦ قال : حدثنا أبو النعمان [هو محمد بن الفضل]، وعلي بن الحسن ، وأخرجه أبو يعلىٰ في مسنده (١١/ ٢٣٠/ ٦٣٤٦) - ومن طريقه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص ١٦٩ ح (٣٤٨) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٤/ ٣٥٠ - قال : حدثنا خالد بن مرداس ثمانيتهم عن عبد الله بن المبارك عن محمد بن عجلان عن ربيعة بن عثمان عن الأعرج ... بنحوه .

قال عبد الله بن المبارك : سمعته من ربيعة وحفظي له من محمد[1] .

وقد رجح ابن أبي حاتم ، والطحاوي أن يكون ابن عجلان إنما سمعه من ربيعة ، وأنه دلسه ، قال ابن أبي حاتم : إنما سمعه من ربيعة بن عثمان عن الأعرج[2] .

---

(١) جاء ذلك عند أحمد ، والنسائي ، والفسوي ، والطحاوي .

(٢) جامع التحصيل ١٢٥ .

وقال الطحاوي بعدما أخرجه من طريق محمد بن عجلان عن ربيعة : فوقفنا بذلك علىٰ أن محمد بن عجلان إنما حدث به عن الأعرج تدليسا منه به عنه وأنه إنما كان أخذه من ربيعة بن عثمان عنه[1] .

ثم قال بعد أن أخرجه من طريق عبد الله بن إدريس : فوقفنا بذلك علىٰ أن أصل هذا الحديث في إسناده إنما هو عن ابن عجلان عن ربيعة بن عثمان عن محمد بن يحيىٰ بن حبان عن الأعرج[2] .

وبهذا يرجع حديث ابن عجلان إلىٰ حديث ربيعة بن عثمان الذي أخرجه مسلم ، وقد رواه ابن المبارك أيضا عن ربيعة بن عثمان لكنه لم يتقنه كما سبق ذلك قريبا .

وذهب أبو حاتم ابن حبان إلىٰ أن ابن عجلان ربما يكون قد سمعه من الأعرج فرواه مرة عن هذا ومرة عن ذاك ، قال : يشبه أن يكون ابن عجلان سمع هذا الخبر من الأعرج ، وسمعه من محمد بن يحيىٰ بن حبان ، عن الأعرج ، فمرة كان يحدث به عن الأعرج مفردا ، وتارة يرويه عن رجل ، عن الأعرج مفردا[3] .

---

(١) شرح مشكل الآثار ١/ ٢٣٧ .

(٢) شرح مشكل الآثار ١/ ٢٣٨ .

(٣) الإحسان ١٣/ ٣٠ .

وأغرب الحافظ ابن حجر فقال : ويحتمل أن يكون ربيعة سمعه من ابن حبان ومن ابن عجلان فإن ابن المبارك حافظ كابن إدريس[1] !! ، ولعله سبق قلم من الحافظ رحمه الله تعالىٰ .

ولم أجد في شيء من طرق الحديث التي وقفت عليها أن ابن عجلان ، أو ربيعة رواه عن محمد بن يحيىٰ بن حبان ، والاحتمال الذي ذكره ابن حبان أراه بعيدا لأمرين :

أولهما : أن ابن عجلان ليس من الأثبات حتىٰ يقال إنه حفظ الحديث علىٰ الوجهين ، فهو وإن وثقه بعض النقاد ، فقد تكلم في حفظه غير واحد .

قال مالك : لم يكن عالما[2] ، وقال يحيىٰ القطان : لا أعلم إلا إني سمعت ابن عجلان يقول : كان سعيد المقبري يحدث عن أبيه عن أبي هريرة وعن رجل عن أبي هريرة فاختلطت علي فجعلتها عن أبي هريرة[3] ، وذكر نحوه ابن معين[4] ، وقال أيضا : مضطرب الحديث في حديث نافع ، ولم يكن

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٢٤٠ .

(٢) الضعفاء الكبير للعقيلي ٥/ ٣٥٤

(٣) التاريخ الكبير ١/ ١٩٦ .

(٤) الجرح والتعديل ٨/ ٤٩ .

له تلك القيمة عنده[1] ، ولم يحتج به الشيخان فقد علق له البخاري ، وأخرج له مسلم في الشواهد[2] .

ثانيهما : أن سفيان بن عيينة روىٰ هذا الحديث عنه علىٰ وجه آخر أخرجه الحميدي في مسنده (٢/ ٤٧٤/ ١١١٤) - ومن طريقه الفسوي في المعرفة والتاريخ ٣/ ١٢٦ - قال الحميدي : ثنا سفيان قال ثنا بن عجلان عن رجل من آل أبي ربيعة عن الأعرج عن أبي هريرة ... بنحوه .

والظاهر أن هذا الرجل هو ربيعة بن عثمان وأن محمد بن عجلان قد اضطرب في روايته لهذا الحديث ، وقد روي عنه هذا الحديث علىٰ ثلاثة أوجه أخرىٰ :

الأول : أخرجه النسائي في الكبرىٰ (٦/ ١٥٩/ ١٠٤٥٨) قال : أخبرنا الحسن بن محمد البصري قال حدثنا الفضيل وهو ابن سليمان قال حدثنا محمد بن عجلان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ... بنحوه .

وهو طريق غير ثابت لضعف الفضيل بن سليمان ، ولذا عقبه النسائي بقوله : "الفضيل بن سليمان ليس بالقوي " .

(١) الضعفاء الكبير للعقيلي ٥/ ٣٥٤

(٢) المدخل إلىٰ معرفة الصحيح من السقيم ٢/ ٦٧٩ .

الثـاني : أخرجـه أبـو نعـيم في تـاريخ أصـبهان ١/ ٤٥٩ ، وفي الحليـة ١٠/ ٢٩٦ - ومن طريقه الخطيب في تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٣ – قال : حدثنا أبو محمد بن حيان ثنا عمرو بن عثمان ثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ثنا ابـن عيينـة عـن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة ... بنحوه .

هكذا جعله عن ابن عجلان عن أبيه ، وفي صحة هـذا الطريـق أيضـا نظـر فإن عمرو بـن عثمـان هـذا ترجمـه أبـو الشـيخ[1] ، وأبـو نعـيم[2] ، والخطيـب[3] ، وذكروا أنه كان من كبار المتصوفة ، ولـم أقـف علىٰ مـا يفيـد كونـه ضـابطا فـلا يقبل تفرده بهذا الوجه ، وإن صح دل علىٰ أن ابن عجلان قد اضطرب في رواية هذا الحديث .

الثالث : أخرجه ابن أبي حاتم في علـل الحـديث ٢/ ٤٣٤ قـال : سـمعت علـي بـن الحسـين بـن الجنيـد ورأىٰ في كتـابي حـديثا عـن محمـد بـن عـوف الحمصي عن حيوة بن شريح عن بقية عن معاوية بن يحيىٰ الصدفي عن محمد بن عجلان عن الأعرج عن أبي هريرة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ : " المؤمن القوي أفضل من المؤمن الضعيف ، وكل في خير ، احرص علىٰ

---

(١) طبقات المحدثين بأصبهان ٣/ ٤٥٧ .

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٢٩٦ .

(٣) تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٣ .

ما ينفعك ، ولا تعجز فإن غلبك شيء فقل قدر الله وما شاء صنع ، وإياك ولو فإن اللو يفتح عمل الشيطان " فسمعت ابن الجنيد حافظ حديث مالك والزهري يقول : إنما يرويه الناس عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بلا عمر .

هكذا بين ابن الجنيد أن ذكر عمر رضي الله عنه في هذا الحديث خطأ ، وهو كذلك لأن معاوية بن يحيىٰ الصدفي متفق علىٰ ضعفه لذا وصفه الحافظ بقوله : "ضعيف"[1] ، وقد عنعنه بقية بن الوليد ، وهو كثير التدليس عن الضعفاء كما في التقريب[2] .

وعلىٰ كل فلا يسلم من تلك الطرق إلا طريق عبد الله بن إدريس ، عن ربيعة بن عثمان ، وهو الذي اختاره الإمام مسلم فأخرجه في صحيحه ، وتنكب بقية الطرق ، وهذا يدل علىٰ أمرين مهمين جعلت الأمة تتلقىٰ كتابه بالقبول :

الأول : إمامته ، وتبحره في معرفة الأسانيد وعللها .

الثاني : أنه قد اختار الأسانيد التي يوردها في جامعه الصحيح بعناية فائقة ، وليس اعتباطا ، فلله دره ما أكثر اطلاعه .

---

(١) تقريب التهذيب ٥٣٨ .

(٢) تقريب التهذيب ١٢٦ .

قال الحافظ ابن حجر : وهذه الطريق أصح طرق هذا الحديث وقد أخرجها مسلم من طريق عبد الله بن إدريس أيضا واقتصر عليها ولم يخرج بقية الطرق من أجل الاختلاف علىٰ ابن عجلان في سنده[1] .

وقال الدارقطني : رواه عبد الله بن إدريس فضبط إسناده وجوده رواه عن ربيعة بن عثمان عن محمد بن يحيىٰ بن حبان عن الأعرج عن أبي هريرة وهو الصحيح[2] .

وهذا الإسناد الذي اختاره مسلم رجاله كلهم ثقات متفق علىٰ توثيقهم إلا ربيعة بن عثمان بن ربيعة التيمي فقد اختلف كلام النقاد فيه .

قال يحيىٰ بن معين[3] ، وابن نمير[4] : ثقة ، وقال وكيع بن الجراح : نا ربيعة بن عثمان التيمي ، وكان فيه عسر ، وكان عنده أحاديث حسنة ، وكان ثقة[5] ، وقال النسائي : ليس به بأس[6] ، وقال ابن سعد : كان ثقة ثبتا قليل

(١) فتح الباري ١٣/ ٢٤٠ .

(٢) العلل ١٠/ ٣٠٣ .

(٣) الجرح والتعديل ٣/ ٤٧٦ .

(٤) إكمال تهذيب الكمال ٤/ ٢٥٧ .

(٥) تاريخ أسماء الثقات ١٢٩ .

(٦) تهذيب الكمال ٩/ ١٣٣ .

الحديث[1] ، وذكره ابن حبان في الثقات[2] ، وقال الحاكم : كان من ثقات أهل المدينة ممن يجمع حديثه[3] ، وقال أبو زرعة : هو إلىٰ الصدق ما هو ، وليس بذاك القوىٰ[4] ، وقال أبو حاتم : منكر الحديث يكتب حديثه[5] .

ولأجل ما فيه من الخلاف توسط في أمره الحافظان الذهبي ، وابن حجر : قال الذهبي : صدوق[6] ، وقال ابن حجر : صدوق له أوهام[7] .

والذي أراه أنه ثقة فقد وثقه أكثر النقاد منهم ابن معين والنسائي[8] ، وابن نمير ، ووكيع بن الجراح – وهو من تلاميذه – ولم يتكلم فيه إلا الرازيان ، وجرحهما غير مفسر ، ولم يذكره ابن عدي في كامله ، ولا العقيلي في الضعفاء

---

(١) كتاب الطبقات الكبير ٧/ ٥٥٠ .

(٢) الثقات ٦/ ٣٠١ .

(٣) سؤالات السجزي ٥٨ .

(٤) الجرح والتعديل ٣/ ٤٧٦ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) المغني في الضعفاء ٢٣٠ .

(٧) تقريب التهذيب ٢٠٧ .

(٨) حقق الدكتور قاسم سعد علىٰ في كتابه [منهج الإمام النسائي في الجرح والتعديل ٢/ ٢٠٠٨] أن من عادة الإمام النسائي أن يقول : " لابأس به " فيمن كان ثقة .

مما يؤكد خلو حديثه من المنكر ، ولا ينبغي أن يعرج علىٰ قول أبي حاتم : "منكر الحديث" بعد توثيق هؤلاء الأئمة لما علم من تشدده .

وقد نص غير واحد من أئمة الحديث علىٰ أن من ثبتت عدالته بشهاة النقاد لم يقبل فيه الجرح إلا ببينة واضحة لا لبس فيها ، قال الإمام أحمد : وكل رجل ثبتت عدالته لم يقبل فيه تجريح أحد حتىٰ يبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه[1] .

وقال الإمام البخاري : ولم ينج كثير من الناس عن كلام بعض الناس فيهم نحو ما يذكر عن إبراهيم من كلامه في الشعبي ، وكلام الشعبي في عكرمة ، وفيمن كان قبلهم ، وتأويل بعضهم في العرض والنفس ، ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيان وحجه ، ولم تسقط عدالتهم إلا ببرهان ثابت وحجة ، والكلام في هذا كثير[2] .

وقال ابن عبد البر : من صحت عدالته وثبتت في العلم أمانته، وبانت ثقته وعنايته بالعلم، لم يلتفت فيه إلىٰ قول أحد إلا أن يأتي في جرحته ببينة عادلة

---

(١) تهذيب التهذيب ٧/ ٢٤١ .

(٢) القراءة خلف الإمام ٩١ .

تصح بها جرحته على طريق الشهادات والعمل فيها من المشاهدة والمعاينة لذلك[1] .

وفي ضوء ما سبق فهذا حديث صحيح الإسناد ، ولا يضره كون مداره ربيعة لأنه ثقة.

وقد وقفت له على شاهد من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه لكنه منكر أورده ابن أبي حاتم في علل الحديث قال : سألت أبي عن حديث رواه علي بن بحر بن بري عن قتادة بن الفضيل بن عبد الله الجرشي الرهاوي عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال : " مؤمن قوي أحب إلى الله عز وجل من مؤمن ضعيف ، وكل يحبه الله ، وكل إلى خير ، فاصبر نفسك ، فإن غلبك شيء فقل قدر الله وما شاء صنع ، وإياك ولو فإن لو من عمل الشيطان " فسمعت أبي يقول : هذا حديث منكر جدا ، ولو كان هذا الكلام عن خالد بن معدان لكان حسنا ، وقتادة بن الفضيل شيخ[2] .

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٢٩٦ .

(٢) علل الحديث ٢/ ١٢٠ .

وكلام أبي حاتم – رحمه الله – يفهم منه أن قتادة بن الفضيل هذا لم يبلغ درجة من يقبل تفرده ، وهو كذلك[1] ، كما أن في متن الحديث ما لا يشبه كلام النبوة ، وهو قوله : " وكل يحبه الله ، وكل إلىٰ خير ، فاصبر نفسك " ، ولأجل هذا رجح أن يكون من كلام خالد بن معدان ، وهو من ثقات التابعين ، وعُبَّادهم[2] .

(١) قال فيه أبو حاتم : شيخ ، وقال ابن شاهين : كان ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن حجر : مقبول . الجرح والتعديل ٧/ ١٣٥ ، الثقات ٧/ ٣٤١ ، تاريخ أسماء الثقات ١٨٩ ، تقريب التهذيب ٤٥٣ .

(٢) تقريب التهذيب ١٩٠ .

المبحث الثاني : شرح مفردات الحديث

" المؤمن القوي "

اختلف في القوة المقصودة هنا هل هي قوة الإيمان أم القوة المادية ؟

قال القاضي عياض : القوة هنا المحمودة يحتمل أنها في الطاعة من شدة البدن ، وصلابة الأسر فيكون أكثر عملا ، وأطول قياما ، وأكثر صياما وجهادا وحجا ، وقد تكون القوة هنا في المنة وعزيمة النفس فيكون أقدم علىٰ العدو في الجهاد ، وأشد عزيمة في تغيير المناكر ، والصبر علىٰ إيذاء العدو واحتمال المكروه والمشاق في ذات الله ، أو تكون القوة بالمال والغنىٰ فيكون أكثر نفقة في سبيل الخير ، وأقل ميلا إلىٰ طلب الدنيا ، والحرص علىٰ جمع شيء فيها ، وكل هذه الوجوه ظاهرة في القوة[1] .

وقال الإمام القرطبي : أي : القوي البدن والنفس ، الماضي العزيمة ، الذي يصلح للقيام بوظائف العبادات من الصوم ، والحج ، والجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والصبر علىٰ ما يصيبه في ذلك ، وغير ذلك مما يقوم به الدين ، وتنهض به كلمة المسلمين ، فهذا هو الأفضل ، والأكمل ،

---

(١) إكمال المعلم ٨/ ١٥٧ .

وأما من لم يكن كذلك من المؤمنين ، ففيه خير من حيث كان مؤمنا ، قائما بالصلوات ، مكثرا لسواد المسلمين[1] .

هكذا ذهب القاضي عياض ، والإمام القرطبي إلىٰ أن لفظ الحديث يشمل جميع أنواع القوىٰ المادية وهو قوة البدن ، وقوة العزيمة ، ولم يذكرا قوة الإيمان .

وذهب ابن الجوزي ، والنووي إلىٰ أن المراد بالقوة هنا قوة العزيمة ، قال ابن الجوزي : الإشارة بالقوة ها هنا إلىٰ العزم والحزم والإحتياط لا إلىٰ قوة البدن[2] .

وقال الإمام النووي : والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف اكثر إقداما علىٰ العدو في الجهاد وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه وأشد عزيمة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر علىٰ الاذىٰ في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالىٰ وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك[3] .

---

(١) المفهم ٦/ ٦٨٢ .

(٢) كشف المشكل ٣/ ٥٥٢ .

(٣) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ١٦/ ٢١٥ .

وقيل : أراد بالمؤمن القوي الذي قوي في إيمانه وصلب في إيقانه بحيث لا يرىٰ الأسباب ووثق بمسبب الأسباب ، والمؤمن الضعيف بخلافه وهو في أدنىٰ مراتب الإيمان(١).

وما ذكره القاضي عياض والإمام القرطبي من أن القوة هنا هي القوة المادية بمعناها الشامل أوجه لأن تفضيل المؤمن الأقوىٰ إيمانا علىٰ الأضعف إيمانا أمر بدهي لا يحتاج إلىٰ بيان ، ولما كانت القوىٰ المادية متنوعة ولا تغني إحداها عن الأخرىٰ كان حصر الحديث في واحدة منها تحكم ، وعلىٰ هذا يكون الحديث شاملا لكل أنواع القوىٰ التي تنفع المسلم في دينه ودنياه كقوة البدن ، وقوة العزيمة ، وقوة الفهم ، ونحوها .

ولو قيل : إن الحديث يشمل القوة الإيمانية ، والمادية لما كان ذلك بعيدا ، وقد اختاره غير واحد من المعاصرين منهم أستاذنا الدكتور / موسىٰ شاهين لاشين – رحمه الله تعالىٰ – قال : القوة لها اتجاهات دنيوية وأخروية ، والاتجاهات الدنيوية متعددة وكثير منها مشروع ، والأخروية أيضا متعددة ، وكثير من الاتجاهات الأخروية نافعة في الدنيا ، فتعميم القوة لأعمال الدنيا والآخرة ما دامت مشروعة أولىٰ مما ذهب إليه النووي(٢) .

---

(١) مرقاة المفاتيح ٩/ ٤٨٢ .

(٢) فتح المنعم ١٠/ ١٩٦ .

والـذي أميـل إليـه أن القـوة المقصـودة في الحـديث هـي القـوة الماديـة فالصورة مفروضة هنا في شخصين تساويا في الإيمان ، وتفاوتا في القوة المادية ، أما إذا تفاوتا في قوة الإيمان فلا شك أن قوة الإيمان تفوق كل قوة قال تعـالىٰ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] ، وقـال ﷺ : " ألا لا فضـل لعربـي علـىٰ عجمـي ، ولا لعجمـي علـىٰ عربـي ، ولا أحمـر علـىٰ أسـود ، ولا أسـود علـىٰ أحمـر ، إلا بـالتقوىٰ "[1] ، فهـذا أمـر بـدهي لا ينبغـي أن يكون محل نزاع .

---

(١) أخرجه عبد الله بن المبارك في مسنده ص ١٤٦ ، ح (٢٣٦) قال : أنا سعيد الجريري أن أبا نضرة حدثهم قال : حدثني من شهد خطبة النبي ﷺ بمنىٰ قال : قام رسول الله ﷺ وسط أيام التشريق فقال : " يا أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي علىٰ أعجمي ولا لعجمي علىٰ عربي ، ولا أسود علىٰ أحمر ، ولا أحمر علىٰ أسود إلا بتقوىٰ الله ... الحديث .

ومـن طريـق الجريـري أخرجـه أحمـد ٥/ ٤١١ ، والحـارث في مسـنده (بغيـة الباحـث ١/ ١٩٣/ ٥١) ، ومسـدد (إتحـاف الخيـرة ٣/ ٦٤) ، و أبـو نعـيم في معرفـة الصـحابة (٦/ ٣١٧٢/ ٧٣٠٠) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢٦٦ : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، وقال في إتحاف الخيرة ٣/ ٦٤ : رجاله ثقات .

" خير وأحب "

خير هنا بمعنىٰ أخير (أفعل تفضل) أي أفضل[1] .

وقد يستشكل هذا التفضيل بأن القوة من الأمور الموهوبة لا دخل فيها للكسب ، فكيف تكون مادة للتفضيل ؟ وأجاب الشيخ محمد تقي العثماني عن ذلك بجوابين فأجاد :

الأول : أن الأفضلية والأحبية عند الله تعالىٰ لا تتوقف علىٰ الكسب ، فإن الأنبياء أحب إلىٰ الله من غيرهم بلا ريب مع أن النبوة ليست من كسبهم ، فالأحبية فضل من الله تعالىٰ يؤتيه من يشاء ، والذي يتوقف علىٰ كسب العبد إنما هو العقاب في الآخرة .

الثاني : أن القوة قد تترتب علىٰ الكسب أيضا ، فيحتمل أن يكون ﷺ أراد بهذا الحديث حث المؤمنين علىٰ اختيار ما يجعلهم أقوياء من رياضة البدن وغيره[1] .

= قلت : هو كما قال لكن الجريري اختلط إلا أن ذلك غير مؤثر لأن ممن روىٰ عنه الحديث إسماعيل بن علية عند أحمد وهو ممن روىٰ عنه قبل الاختلاط كما في الكواكب النيرات ص ١٨٣ ، فالحديث صحيح الإسناد ، ولا يضر كون الصحابي مبهما لأن الصحابة كلهم عدول .

(١) فتح المنعم ١٠/ ١٩٦ .

" وفي كلٍ خير "

قال الإمام النووي : معناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات[2] .

قلت : لما كان تحصيل شيء من القوة ربما بعث في نفس صاحبها شيئا من الكبر أو التعالي علىٰ غيره من المؤمنين أرشد النبي ﷺ إلىٰ أن المؤمن لا يخلو من خير ، وأنه ربما حصل من جوانب القوة ما لم يحصله الآخر ، وقد يكون عند الضعيف من الإخلاص والخشوع ما ليس عند القوي ، ولهذا قال النبي ﷺ : " هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم "[3] .

وهذا يشبه قوله تعالىٰ : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَىٰ الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَىٰ الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٥] قال ابن كثير تعليقا علىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [النساء : ٩٥] : وإنما نبه بهذا

=

(١) تكملة فتح الملهم ٥/ ٣٩٣ - ٣٩٤ .

(٢) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ١٦/ ٢١٥ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب (٦/ ١٠٤/ ٢٨٩٦) .

لئلا يهدر الجانب الآخر بمدح الأول دون الآخر فيتوهم متوهم ذمه فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الأول عليه[1] .

وهذا الأسلوب يسميه البلاغيون الاحتراس ، وهو أن يتكلم الإنسان كلامـًا يوهم معنىٰ لا يقصده ، فيأتي بجملة تبين أنه يقصد المعنىٰ المعين[2] .

" احرص علىٰ ما ينفعك "

لما كانت محبة الخير وحدها لا تكفي أرشد النبي ﷺ إلىٰ المبادرة إلىٰ فعل الخير ، وبذل الجهد في سبيل ذلك ، وعدم الاكتفاء بالأماني .

قال الإمام القرطبي : أي استعمل الحرص ، والاجتهاد في تحصيل ما تنتفع به في أمر دينك ودنياك التي تستعين بها علىٰ صيانة دينك ، وصيانة عيالك ، ومكارم أخلاقك ، ولا تفرط في طلب ذلك ، ولا تتعاجز عنه متكلا علىٰ القدر ، فتنسب للتقصير ، وتلام علىٰ التفريط شرعا وعادة[3] .

" واستعن بالله "

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٠٨ .

(٢) شرح الشيخ ابن عثيمين علىٰ رياض الصالحين ٢/ ٧٧ ، وانظر في معنىٰ الاحتراس وأمثلته : البلاغة الواضحة ص ٢٨٠ ، البلاغة العربية ٢/ ٨٤ .

(٣) المفهم ٦/ ٦٨٢-٦٨٣ .

الاستعانة : هي طلب العون من الله تعالىٰ ، وقد أرشد النبي ﷺ المجتهد في فعل الخير إلىٰ إعلان فقره إلىٰ سيده ومدبر أمره تبارك وتعالىٰ لأن العبد قد يجتهد في فعل الخير معتمدا علىٰ نفسه فلا يتحقق له مراده.

قال الإمام القرطبي : ومع إنهاء الاجتهاد نهايته ، وإبلاغ الحرص غايته ، فلا بد من الاستعانة بالله ، والتوكل عليه ، والالتجاء في كل الأمور إليه ، فمن سلك هذين الطريقين حصل علىٰ خير الدارين[1] .

" ولا تعجز "

قد يحاول العبد فعل الخير فيخفق لأجل هذا أرشده النبي ﷺ إلىٰ إعادة المحاولة ، ونبذ الشعور بالعجز وعدم القدرة لأن هذا يقعد به عن معالىٰ الأمور .

قال الإمام النووي : تعجز : بكسر الجيم ، وحكي فتحها ، والمعنىٰ : لا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة[2] ، وقال الإمام القرطبي : أي لا تتعاجز عنه متكلا علىٰ القدر ، فتنسب للتقصير ، وتلام علىٰ التفريط شرعا

(١) المفهم ٦/ ٦٨٢-٦٨٣ .

(٢) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ١٦/ ٢١٥ .

وعادة[1] ، وقال ملا علىٰ القاري : قيل : معناه لا تعجز عن العمل بما أمرت ، ولا تتركه مقتصراً علىٰ الاستعانة به ، فإن كمال الإيمان أن يجمع بينهما[2] .

" وإن أصابك شيء "

أي من الابتلاءات والمحن التي تنزل بالعبد في دينه أو دنياه .

" لو أني فعلت كان كذا وكذا "

مفعول "فعلت" محذوف ، والتقدير "لو أني فعلت كذا كان كذا"[3] .

والمقصود ترك التحسر والتندم علىٰ ما فات لأن ما فات قد مات ، ولا فائدة من التحسر عليه ، قال الإمام القرطبي : يعني إن الذي يتعين بعد وقوع المقدور التسليم لأمر الله ، والرضا بما قدره الله تعالىٰ ، والإعراض عن الالتفات لما مضىٰ وفات[4] .

" قدر الله ، وما شاء فعل "

(قدر) بتشديد الدال المفتوحة ، ويجوز تخفيفها ، فعلىٰ التشديد تكون فعلا ، والمفعول محذوف تقديره (قدر الله وقوع هذا الأمر) ، وعلىٰ التخفيف

(١) المفهم ٦/ ٦٨٢-٦٨٣ بتصرف .

(٢) مرقاة المفاتيح ٩/ ٤٨٣ .

(٣) فتح المنعم ١٠/ ١٩٦ .

(٤) المفهم ٦/ ٦٨٣ .

تكون فعلا إن فتحت الراء (قَدَرَ) ، وإن ضممت الراء (قَدَرُ) كانت خبرا مبتدأ محذوف أي هذا قدر الله[1] .

والمعنىٰ : ليُصبِّر العبد نفسه بأن ما حدث هو ما قدره الله تعالىٰ وقضاه ، وإذا كان الأمر كذلك فلا راد لحكمه ، ولا معقب لأمره .

" فإن لو تفتح عمل الشيطان "

المراد بعمل الشيطان هنا معارضة القدر كما قال قاضي عياض[2] .

وقال الإمام القرطبي : يعني إن الذي يتعين بعد وقوع المقدور التسليم لأمر الله ، والرضا بما قدره الله تعالىٰ ، والإعراض عن الالتفات لما مضىٰ وفات . فإن افتكر فيما فاته من ذلك وقال : لو أني فعلت كذا لكان كذا جاءته وساوس الشيطان ، ولا تزال به حتىٰ تقضي به إلىٰ الخسران لتعارض توهم التدبير سابق المقادير ، وهذا هو عمل الشيطان الذي نهىٰ عنه النبي ﷺ بقوله : " فلا تقل لو ، فإن لو تفتح عمل الشيطان "[3] .

ونقل ملا علىٰ القاري عن أحد شراح المصابيح قوله : أي أن قول "لو" واعتقاد معناها يفضي بالعبد إلىٰ التكذيب بالقدر أو عدم الرضا بصنع الله ، لأن القدر إذا ظهر بما يكره العبد قال : لو فعلت كذا لم يكن كذا ، وقد قدر في

---

(١) مرقاة المفاتيح ٩/ ٤٨٤ ، فتح المنعم ١٠/ ١٩٦ .

(٢) إكمال المعلم ٨/ ١٥٨ .

(٣) المفهم ٦/ ٦٨٣ .

علم الله أنه لا يفعل إلا الذي فعل ولا يكون إلا الذي كان[1] .

و (ليت) مثل (لو) إذا أريد بها التحسر علىٰ ما فات[2] ، ورحم الله الإمام الشاطبي حيث قال :

" وكم لو وليت تورث القلب أَنْصُلا "[3] .

(١) مرقاة المفاتيح ٩/ ٤٨٣ .

(٢) أفاده الأبي في إكمال إكمال المعلم ٧/ ٩٦ .

(٣) بفتح الهمزة ، وسكون النون ، وضم الصاد : جمع نصل ، وهو حديدة الرمح والسهم والسكين . المعجم الوسيط ٩٢٧ (نصل) .

والمعنىٰ تورث القلب ألما كألم وقوع النصول في القلب فيقول المتندم المتأسف لو أني فعلت كذا ولو أني ما فعلت . إبراز المعاني من حرز الأماني ٢/ ٦٢٠ .

المبحث الثالث : فقه الحديث

اشتمل هذا الحديث علىٰ ثلاث مسائل تحتاج إلىٰ بسط القول فيها :

المسألة الأولى : المفاضلة بين المؤمن القوي والمؤمن الضعيف

ظاهر هذا الحديث مدح القوة ، وتفضيل المؤمن القوي علىٰ الضعيف ، وقد وردت أحاديث أخرىٰ صحيحة ظاهرها مدح الضعف من ذلك :

[١] قوله ﷺ : " هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم "(١) .

[٢] وقوله ﷺ : " ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعَّف ، لو أقسم علىٰ الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار : كل عتل(٢) جوَّاظ(٣) مستكبر "(٤) .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب (٦/ ١٠٤/ ٢٨٩٦) من حديث مصعب بن سعد ، قال : رأىٰ سعد رضي الله عنه ، أن له فضلا علىٰ من دونه ، فقال النبي ﷺ : " هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم " .

(٢) العتل – بضم العين والتاء – هو الجافي الشديد الخصومة بالباطل ، وقيل : الجافي الفظ الغليظ. شرح النووي علىٰ مسلم ١٧/ ١٨٨ .

(٣) الجواظ – بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة – هو الجموع المنوع ، وقيل كثير اللحم المختال فىٰ مشيته شرح النووي علىٰ مسلم ١٧/ ١٨٨ .

(٤) أخرجه البخاري في عدة مواضع منها كتاب التفسير ، باب قوله تعالىٰ : ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [القلم : ١٣] (٨/ ٥٣٠/ ٤٩١٨) ، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ،

[٣] وقوله ﷺ " تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسَقَطهم ... الحديث[1] .

والجواب عن الحديث الأول : أنه لا يدعو إلىٰ الضعف ، وإنما يحذر القوي أن يغتر بقوته فيرىٰ أن له فضلا علىٰ الضعيف لأن الضعيف قد يكون عنده من انكسار القلب والخشوع ما ليس عند القوي ، ويدل علىٰ هذا سبب ورود الحديث فإن النبي ﷺ قال هذا الكلام لسعد بن أبي وقاص لما رأىٰ أن له فضلا علىٰ من دونه في القوة كما جاء في رواية البخاري المشار إليها ، فكأنه أراد أن يحثه علىٰ التواضع ، وهذا يشبه قوله ﷺ في الحديث الذي نحن بصدده " وفي كل خير " .

= باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٤/ ٢١٩٠/ ٢٨٥٣) من حديث حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه .

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب قوله تعالىٰ : ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ [ق : ٣٠] (٨/ ٤٦٠/ ٤٨٥٠) ، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٤/ ٢١٩٦/ ٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قال ابن الجوزي : إنما أراد النبي ﷺ كسر سورته في اعتقاده فضله علىٰ غيره ليستعمل التواضع والذل ، فأعلمه أن الضعفاء في مقام انكسار وذل وهو المراد من العبد ، وهو المقتضي للرحمة والإنعام[1] .

وقال ابن بطال : وتأويل ذلك أن عبادة الضعفاء ودعاءهم أشد إخلاصًا وأكثر خشوعًا ؛ لخلاء قلوبهم من التعلق بزخرف الدنيا وزينتها ، وصفاء ضمائرهم مما يقطعهم عن الله فجعلوا همهم واحدًا ؛ فزكت أعمالهم ، وأجيب دعاؤهم ، قال المهلب : إنما أراد ﷺ بهذا القول لسعد الحض علىٰ التواضع ، ونفىٰ الكبر والزهو عن قلوب المؤمنين ، ففيه من الفقه أن من زها علىٰ ما هو دونه أنه ينبغىٰ أن يبين من فضله ما يحدث له فى نفس المزهو مقدارًا أو فضلا حتىٰ لا يحتقر أحدًا من المسلمين ، ألا ترىٰ أن الرسول أبان من حال الضعفاء ما ليس لأهل القوة والغناء ، فأخبر أن بدعائهم وصلاتهم وصومهم ينصرون[2].

وزاد المناوي في فيض القدير : ثم إن المراد أن ذلك من أعظم أسباب الرزق والنصر وقد يكون لذلك أسباب أخر ، فإن الكفار والفجار يرزقون وقد

(١) كشف المشكل ١/ ٢٤٤ .

(٢) شرح ابن بطال علىٰ صحيح البخاري ٥/ ٩٠ .

ينصرون استدراجا ، وقد يخذل المؤمنون ليتوبوا ويخلصوا فيجمع لهم بين غفر الذنب وتفريج الكرب ، وليس كل إنعام كرامة ولا كل امتحان عقوبة[1] .

أما الحديثان الثاني ، والثالث : فالمراد بالضعيف فيهما المتواضع الذي يركن إلىٰ الله تعالىٰ ، ويتبرأ من قوة نفسه ، ويدل علىٰ هذا التأويل أن الضعيف ذكر في مقابلة المتكبر ، وليس القوي .

روىٰ الحاكم عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن الضعيف في قول النبي ﷺ : " تحاجت الجنة والنار ، فقالت الجنة : يدخلني الضعفاء " فقال : الذي يبرئ نفسه من الحول والقوة – يعنىٰ في اليوم – عشرين مرة إلىٰ خمسين مرة[2] .

وقال الحافظ ابن حجر : والمراد بالضعيف من نفسه ضعيفة لتواضعه وضعف حاله في الدنيا والمستضعف المحتقر لخموله في الدنيا[3] .

وقال الحافظ العيني : المراد بالضعيف ضعيف الحال لا ضعيف البدن ، "والمتضاعف" بمعنىٰ المتواضع ويروىٰ "متضعف" و "مستضعف" أيضًا

(١) فيض القدير ٦/ ٣٥٤ .

(٢) معرفة علوم الحديث ٨٤ .

(٣) فتح الباري ٨/ ٥٣١ .

والكل يرجع إلىٰ معنىٰ واحد هو الذي يستضعفه الناس ويحتقرونه لضعف حاله في الدنيا أو متواضع متذلل خامل الذكر[1] .

المسألة الثانية : هل الغنى من معاني القوة التي يحث عليها الحديث ؟

إذا تقرر أن القوة المرادة في هذا الحديث هي القوة المادية فهل المال والغنىٰ داخل فيها ؟

قال القاضي عياض كما سبق : القوة هنا المحمودة يحتمل أنها في الطاعة من شدة البدن ، وصلابة الأسر فيكون أكثر عملا ، وأطول قياما ، وأكثر صياما وجهادا وحجا ، وقد تكون القوة هنا في المنة وعزيمة النفس فيكون أقدم علىٰ العدو في الجهاد وأشد عزيمة في تغيير المناكر ، والصبر علىٰ إيذاء العدو واحتمال المكروه والمشاق في ذات الله ، أو تكون القوة بالمال والغنىٰ فيكون أكثر نفقة في سبيل الخير ، وأقل ميلا إلىٰ طلب الدنيا ، والحرص علىٰ جمع شيء فيها ، وكل هذه الوجوه ظاهرة في القوة[2] .

---

(١) عمدة القاري ٢٢/ ١٤٠ .

(٢) إكمال المعلم ٨/ ١٥٧ .

وقد تعقبه الشيخ محمد تقي العثماني مانعا أن تكون قوة المال مقصودة هنا في الحديث فقال : هذا الوجه الأخير ضعيف جدا لأن رسول الله ﷺ آثر لنفسه الفقر علىٰ المال ، وبين أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء[1] .

والذي أراه أن الغنىٰ والفقر لا يصلح أن يكون أحدهما وجها للمفاضلة بين المؤمنين فلا يقال : الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر ، ولا العكس ، وهي مسألة مشهورة كثر الحديث فيها ، قال الحافظ ابن حجر : والتحقيق عند أهل الحذق أن لا يجاب في ذلك بجواب كلي ، بل يختلف الحال باختلاف الأشخاص والأحوال ، نعم عند الاستواء من كل جهة ، وفرض رفع العوارض بأسرها ، فالفقير أسلم عاقبة في الدار الآخرة ، ولا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيء والله أعلم[2] .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية فصل بديع في المفاضلة بين الغنىٰ الشاكر، والفقر الصابر من جملة ما جاء فيه قوله : (قد كثر تنازع الناس أيهما أفضل الفقير الصابر أو الغنىٰ الشاكر ؟ فقيل : إن الفقير الصابر أفضل ، وقيل : إن الغنىٰ الشاكر أفضل ، وفىٰ المسألة قول ثالث – وهو الصواب – أنه ليس هذا أفضل من هذا مطلقا ، ولا هذا أفضل من هذا مطلقا بل أفضلهما أتقاهما كما

(١) تكملة فتح الملهم ٥/ ٣٩٣ ، وسيأتي تخريج هذا الحديث قريبا .

(٢) فتح الباري ٩/ ٤٩٦ .

قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال عمر بن الخطاب : " الغنىٰ والفقر مطيتان لا أبالىٰ أيتهما ركبت "[1] ، والفقر والغنىٰ حالان يعرضان للعبد باختياره تارة ، وبغير اختياره أخرىٰ كالمقام والسفر والصحة والمرض والإمارة والائتمار والإمامة والائتمام ، وكل جنس من هذه الأجناس لا يجوز إطلاق القول بتفضيله علىٰ الآخر بل قد يكون هذا أفضل في حال ، وهذا في حال ، وقد يستويان في حال ، والنصوص الواردة في

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وقد أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر ص ٢٤ رقم (٧) قال : حدثني أبي ، حدثنا الأصمعي ، عن عبد الله بن عمر قال : قال عمر بن الخطاب : " لو كان الصبر والشكر بعيرين ، ما باليت أيهما ركبت " .

وإسناده منقطع الاصمعي – واسمه عبد الملك بن قريب – لم يدرك عبد الله بن عمر فقد توفي سنة ٢١٠ هـ كما في التاريخ الكبير ٥/ ٤٢٨ .

وله طريق آخر أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٣/ ٤٧ من طريق ابن أبي عمر العدني نا سفيان قال : قال عمر بن الخطاب : " لو أتيت براحلتين راحلة شكر وراحلة صبر لم أبال أيهما ركبت " .

وإسناده منقطع أيضا فسفيان ، وهو ابن عيينة لم يدرك عمر بن الخطاب فقد توفي سنة ١٩٨ هـ كما في كتاب الثقات لابن حبان ٦/ ٤٠٣ .

ولا يصح تقوية أحد الطريقين بالآخر لأن الانقطاع في موضع واحد ، فيبقىٰ هذا الأثر ضعيفا حتىٰ يوجد ما يشده ، ولا مانع من الاستئناس بمثله .

الكتاب والسنة حاكمة بالقسط فإن الله في القرآن لم يفضل أحدا بفقر ولا غنىٰ كما لم يفضل أحدا بصحة ولا مرض ولا إقامة ولا سفر ولا إمارة ولا ائتمار ولا إمامة ولا ائتمام بل قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣]، وفضلهم بالأعمال الصالحة من الإيمان ودعائمه وشعبه كاليقين والمعرفة ومحبة الله والإنابة إليه والتوكل عليه ورجائه وخشيته وشكره والصبر له وقال في آية العدل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ [النساء : ١٣٥]، ونصوص النبىٰ ﷺ معتدلة فإنه قد روىٰ أن الفقراء قالوا له : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلىٰ ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضول أموال يتصدقون بها ولا نتصدق ، فقال ﷺ : " ألا أعلمكم شيئا إذا فعلتموه أدركتم به من سبقكم ، ولم يلحقكم من بعدكم إلا من عمل مثل عملكم " فعلمهم التسبيح المائة في دبر كل صلاة ، فجاءوا إليه فقالوا : إن إخواننا من الأغنياء سمعوا ذلك ففعلوه ، فقال : " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء "[1] ، وهذه الزيادة

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان ، باب الذكر بعد الصلاة (٢/ ٣٧٨/ ٨٤٣) ، ومسلم في كتاب المساجد ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة (١/ ٤١٦/ ٥٩٥) ، والزيادة التي

في صحيح مسلم من مراسيل أبى صالح ، فهذا فيه تفضيل للأغنياء الذين عملوا مثل عمل الفقراء من العبادات البدنية بالقلب والبدن وزادوا عليهم بالإنفاق في سبيل الله ونحوه من العبادات المالية ، وثبت عنه أيضا في الصحيح أنه قال : " يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام "[1] ،

=
أشار شيخ الإسلام إلى كونها مرسلة من رواية أبي صالح عند مسلم لها طرق أخرى تتقوى بها ذكرها الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٢/ ٣٨٥ .

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد ، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم (٤/ ٥٧٨/ ٢٣٥٣ ، ٢٣٥٤) ، وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب منزلة الفقراء (٢/ ١٣٨٠/ ٤١٢٢) ، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤١٢/ ١١٣٤٨) ، وأحمد ٢/ ٢٩٦ ، ٢/ ٣٤٣ ، ٢/ ٤٥٠ ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٨٦/ ٣٤٣٩٢) ، وابن حبان (٢/ ٤٥١/ ٦٧٦) من طرق عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وهذا إسناد حسن لأجل محمد بن عمرو بن علقمة ، وله طرق أخرى وشواهد يرتقي بها إلى درجة الصحيح لغيره ، منها ما أخرجه أحمد ٢/ ٥١٢ قال : حدثنا أسود ، حدثنا أبو بكر ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ... بمثله . ومن طريق أبي بكر بن عياش أخرجه ابن الأعرابي في معجمه (٣/ ١١٠٧/ ٢٣٩٠) ، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان ٢/ ٢٠ ، والحلية ٨/ ٣٠٧ .

فهذا فيه تفضيل الفقراء المؤمنين بأنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء المؤمنين وكلاهما حق فان الفقير ليس معه مال كثير يحاسب علىٰ قبضه وصرفه ، فلا يؤخر عن دخول الجنة لأجل الحساب فيسبق في الدخول وهو أحوج إلىٰ سرعة الثواب لما فاته في الدنيا من الطيبات ، والغنىٰ يحاسب فإن كان محسنا في غناه غير مسيء ، وهو فوقه رفعت درجته عليه بعد الدخول ، وإن كان مثله ساواه ، وإن كان دونه نزل عنه وليست حاجته إلىٰ سرعة الثواب كحاجة الفقير ، وليس في المسألة عن النبىٰ ﷺ أصح من هذين الحديثين ، وفيها الحكم الفصل : أن الفقراء لهم السبق ، والأغنياء لهم الفضل ، وقد ثبت في الصحاح أنه ﷺ قال : " اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء"[1] ، وثبت في الصحاح أيضا أنه ﷺ قال " احتجت الجنة والنار ، فقالت الجنة : مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم ،

=

وهذا إسناد حسن لأجل أبي بكر بن عياش فقد تكلم في حفظه غير واحد [تهذيب التهذيب ١٢/ ٣٧ – ٣٩] ، وإذا انضم هذا الطريق إلىٰ طريق محمد بن عمرو صار صحيحا لغيره ، ولهذا قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(١) أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه منها كتاب الرقاق ، باب فضل الفقر (١١/ ٢٧٨/ ٦٤٤٩) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه .

وقالت النار : مالي لا يدخلني إلا الجبارون والمتكبرون "[1] ، وقوله ﷺ : " وقفت علىٰ باب الجنة فإذا عامة من يدخلها المساكين ، وإذا أصحاب الجد محبوسون إلا أهل النار فقد أمر بهم إلىٰ النار "[2] هذا مع قوله ﷺ في الحديث الصحيح : " المؤمن القوىٰ خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف ، وفىٰ كل خير " فهذه الأحاديث فيها معنيان :

أحدهما : أن الجنة دار المتواضعين الخاشعين لا دار المتكبرين الجبارين سواء كانوا أغنياء أو فقراء فإنه قد ثبت في الصحيح " أنه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان " فقيل : يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا أفمن الكبر ذاك؟ فقال : " لا إن الله جميل يحب الجمال ، ولكن الكبر بطر الحق وغمط الناس "[3] فأخبر ﷺ أن الله يحب التجمل في اللباس الذىٰ

---

(١) سبق تخريجه قريبا .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار (١١/ ٤٢٣/ ٦٥٧٤) ، ومسلم في كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء (٤/ ٢٠٩٦/ ٢٧٣٦) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه (١/ ٩٣/ ٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

لايحصل إلا بالغنىٰ وأن ذلك ليس من الكبر وفي الحديث الصحيح "ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم ، فقير مختال ، وشيخ زان ، وملك كذاب "[1] فمن الفقراء من يكون مختالا لا يدخل الجنة ومن الأغنياء من يكون متجملا غير متكبر يحب الله جماله مع قوله ﷺ في الحديث الصحيح " إن الله لاينظر إلىٰ صوركم ولا إلىٰ أموالكم وإنما ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم "[2] ، ومن هذا الباب قول هرقل لأبىٰ سفيان : أفضعفاء الناس اتبعه أم أشرافهم ، قال : بل ضعفاؤهم ، قال : هم أتباع الأنبياء[3] ، وقد قالوا لنوح : ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾[الشعراء : ١١١] فهذا فيه أن أهل الرئاسة والشرف يكونون أبعد عن الانقياد إلىٰ عبادة الله وطاعته لأن حبهم للرئاسة يمنعهم ذلك بخلاف المستضعفين .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار (١/ ١٠٢/ ١٠٧) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - بلفظ (عائل مستكبر) بدل (فقير مختال) وهي بمعناها .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم (٤/ ١٩٨٧/ ٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣)أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي (١/ ٤٢/ ٧) ، ومسلم في كتاب الجهاد ، باب كتاب النبي ﷺ إلىٰ هرقل (٣/ ١٣٩٣/ ١٧٧٣) .

المعنىٰ الثانيٰ : أن الصلاح في الفقراء أكثر منه في الأغنياء كما أنه إذا كان في الأغنياء فهو أكمل منه في الفقراء فهذا في هؤلاء أكثر وفيٰ هؤلاء أكثر لأن فتنة الغنىٰ أعظم من فتنة الفقر ، فالسالم منها أقل ومن سلم منها كان أفضل ممن سلم من فتنة الفقر فقط ، ولهذا صار الناس يطلبون الصلاح في الفقراء لأن المظنة فيهم أكثر ، والبعض يعتقد أن التواضع والمسكنة هو الفقر ، وليس كذلك ، بل الفقر هنا عدم المال ، والمسكنة خضوع القلب ، وكان النبىٰ يستعيذ من فتنة الفقر وشر فتنة الغنىٰ[1] ، وقال بعض الصحابة : " ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر "[2] ، وقد قال ﷺ : " والله ما الفقر

---

(١) أخرج البخاري في كتاب الدعوات ، باب التعوذ من فتنة الغنىٰ (١١/ ١٨٥/ ٦٣٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يتعوذ : " اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ومن عذاب النار ، وأعوذ بك من فتنة القبر ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الغنىٰ ، وأعوذ بك من فتنة الفقر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال " .

(٢) أخرجه الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٤/ ٦٤٢/ ٢٦٦٤) قال حدثنا قتيبة قال : حدثنا أبو صفوان ، عن يونس ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : " ابتلينا مع رسول الله ﷺ بالضراء فصبرنا ، ثم ابتلينا بالسراء بعده فلم نصبر " .

قال الترمذي : " هذا حديث حسن " .

أخشىٰ عليكم ، ولكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت علىٰ من كان قبلكم فتنافسوها"[1])[2] .

وكون المال ليس سببا للتفاضل لا يعني الحث علىٰ ترك السعي في تحصيله ، فقد قال النبي ﷺ : " نعم المال الصالح للمرء الصالح "[3] ، وحث

=

قلت : هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات ، ولعل الترمذي قال فيه : "حديث حسن" لتعدد طرقه فإن له طريقا آخر لا حاجة للإطالة بذكره بعد ثبوت صحته .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (١١/ ٢٤٧/ ٦٤٢٥) ، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٧٣/ ٢٩٦١) من حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه .

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/ ١٢٢ - ١٣٢ باختصار .

(٣) أخرج البخاري في الأدب المفرد ، باب المال الصالح للمرء الصالح ص ١١٢ ح (٢٩٩) - واللفظ له - وأحمد ٤/ ١٩٧ ، ٤/ ٢٠٢ ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٤٧٦/ ٢٢١٨٨) ، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٥/ ٣٢٧/ ٦٠٥٦) ، والطبراني في الأوسط (٣/ ٢٩١/ ٣١٨٩) ، (٩/ ٢٢/ ٩٠١٢) ، وأبو يعلىٰ (١٣/ ٣٢١/ ٧٣٣٦) ، وابن حبان (٨/ ٦/ ٣٢١٠) ، (٨/ ٧/ ٣٢١١) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣/ ٢١٣٠) ، (٢/ ٢٥٧/ ٢٩٢٦) ، والبيهقي في الشعب (٢/ ٩١/ ١٢٤٨) والبغوي في شرح السنة (١٠/ ٩١/ ٢٤٩٥) من طرق عدة عن موسىٰ بن علي قال : سمعت أبي يقول : سمعت عمرو بن العاص قال : بعث إلي النبي ﷺ فأمرني أن آخذ علي ثيابي وسلاحي ، ثم آتيه ، ففعلت فأتيته وهو يتوضأ ، فصعد إلي البصر ثم طأطأ ، ثم قال :

=

" يا عمرو ، إني أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ، وأرغب لك رغبة من المال صالحة " ، قلت : إني لم أسلم رغبة في المال ، إنما أسلمت رغبة في الإسلام فأكون مع رسول الله ﷺ فقال : " يا عمرو ، نعم المال الصالح للمرء الصالح " .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

وقال في الموضع الثاني : صحيح على شرط مسلم لرواية موسىٰ بن علي بن رباح ، وعلىٰ شرط البخاري لأبي صالح .

قلت : ليس الحديث على شرط واحد منهما لأن البخاري لم يخرج لموسىٰ بن علي ، ولا لأبيه ، ومسلم أخرج لهما لكنه لم يخرج لعلي بن رباح عن عمرو بن العاص ، وأبو صالح هو عبد الله بن صالح كاتب الليث يروي عن موسىٰ بن علي في إسناد الحاكم قد أخرج له البخاري في المتابعات كما في هدي الساري ٤٨٨ ، فليس هو على شرطه .

وقد صحح العراقي إسناد هذا الحديث في المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٨٩٢ ، وجوده في موضع آخر من نفس الكتاب ٢/ ١٠٢٤ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٦٤ ، ٩/ ٣٥٣ : رجال أحمد وأبي يعلىٰ رجال الصحيح .

قلت : إسناده صحيح ، رجاله كلهم ثقات ، ولم ينصف الحافظ ابن حجر موسىٰ بن علي بن رباح فقال كما في التقريب ٥٥٣ : صدوق ربما أخطأ ، وقد قال فيه : أحمد ، وابن معين ، والعجلي ، والنسائي : ثقة ، وقال أبو حاتم : كان رجلا صالحا يتقن حديثه لا يزيد ولا ينقص صالح الحديث وكان من ثقات المصريين ، وجاء عن ابن معين في رواية أخرىٰ : لم يكن بالقوي ، وقال ابن عبد البر ما انفرد به فليس بالقوي [تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٢٤]

الشرع على الإنفاق ، فإذا لم يكن للشخص مال كيف ينفق ؟ ، ويكفي قول النبي ﷺ " اليد العليا خير من اليد السفلى"[1] فهذا نص ظاهر في تفضيل المتصدِّق على المتصدَّق عليه .

فكلام القاضي عياض له محمل صحيح ، وهو أن المؤمن القادر على الكسب الذي يسعى في تحصيل المال الصالح ليبذله في سبيل الله تعالى أفضل من المؤمن القادر على الكسب الذي يؤثر الراحة ، أو الانشغال بالعبادات الشخصية القاصرة ، إلا أن ظاهر لفظ القوة المذكور في الحديث لا يشمل المال بحسب ما أراه ، والله أعلم .

المسألة الثالثة : حكم قول : "لو"

ظاهر هذا الحديث النهي عن استخدام "لو" مع أن استخدامها جاء في القرآن والسنة ، فمن القرآن قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ

=

قلت : وهذا جرح غير مفسر لا يرد به توثيق هؤلاء الأئمة ، وفيهم أبو حاتم ، وحسبك به تشددا أما الذهبي فقال كما في الكاشف ٢/ ٣٠٦ : ثبت صالح .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى (٣/ ٣٤٥/ ١٤٢٧) ، مسلم في كتاب الزكاة ، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى (٢/ ٧١٧/ ١٠٣٤) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه ، وقد أخرجاه أيضا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] ، فقد جاء ذكر لو فيما أمر رسول الله ﷺ أن يقوله .

ومن السنة قوله ﷺ : " لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي "[١] .

وقد أجاب أهل العلم عن ذلك بعدة أجوبة :

الأول : أن النهي عن ذلك علىٰ عمومه وهو للتنزيه ، ذهب إلىٰ هذا القاضي عياض[٢] ، وفيما قاله نظر إذ لو كان النهي للتنزيه لكان أولىٰ من يتنزه عنه رسول الله ﷺ.

الثاني : أن النهي يتنزل علىٰ حال غير الأحوال التي جاءت في نصوص القرآن والسنة ، وهذا هو القول الراجح ، وإليه ذهب أكثر أهل العلم ، وعباراتهم وإن تفاوتت في تعيين الحال التي نهىٰ الشرع عن استخدام "لو" فيها إلا أنها تفيد أن المنهي عنه هو التحسر علىٰ ما فات ، واعتقاد معارضة القدر .

قال الإمام الطبري : طريق الجمع بين هذا النهي وبين ما ورد من الأحاديث الدالة علىٰ الجواز أن النهي مخصوص بالجزم بالفعل الذي لم يقع

---

(١) أخرجه البخاري في عدة مواضع منها كتاب التمني ، باب قول النبي ﷺ : " لو استقبلت من أمري ما استدبرت (١٣/ ٢٣١/ ٧٢٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) إكمال المعلم ٨/ ١٥٧ .

فالمعنىٰ لا تقل لشيء لم يقع لو أني فعلت كذا لوقع قاضيا بتحتم ذلك غير مضمر في نفسك شرط مشيئة الله تعالىٰ ، وما ورد من قول لو محمول علىٰ ما إذا كان قائله موقنا بالشرط المذكور وهو أنه لا يقع شيء إلا بمشيئة الله وإرادته[1] .

قال الإمام القرطبي : محل النهي عن إطلاقها إنما هو فيما إذا أطلقت في معارضة القدر ، أو مع اعتقاد : أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلاف المقدور ، فأمَّا لو أخبر بالمانع علىٰ جهة أن تتعلق به فائدة في المستقبل ، فلا يختلف في جواز إطلاقه ، إذ ليس في ذلك فتح لعمل الشيطان ، ولا شيء يفضي إلىٰ ممنوع ، ولا حرام[2] .

وقال الإمام النووي : الظاهر أن النهي إنما هو عن إطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه فيكون نهي تنزيه لا تحريم فأما من قاله تأسفا علىٰ ما فات من طاعة الله تعالىٰ أو ما هو متعذر عليه من ذلك ونحو هذا فلا بأس به ، وعليه يحمل أكثر الاستعمال الموجود في الاحاديث[3] .

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٢) المفهم ٦/ ٦٨٢ .

(٣) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ١٦/ ٢١٥ .

وقد بسط القول في ذلك الإمام الطحاوي في شرح مشكل الآثار[1]، وكلامه لا يخرج عما سبق .

(١) شرح مشكل الآثار ١/ ٢٣٨ - ٢٤١ .

المبحث الرابع : مقومات النجاح كما يصورها الحديث

اشتمل هذا الحديث الشريف علىٰ أسس ستة لا بد من توفرها في الشخصية الناجحة وهي القوة ، والتواضع ، والمبادرة ، والاستعانة ، والمثابرة ، والخروج من أسر الماضي ، وهذا الترتيب في غاية من الحسن والتناسب فإن المرء مدعو لتحصيل القوة لتحقيق النجاح فلا نجاح بغير قوة ، ولما كان الإنسان قد يغتر بقوته فيقعد به هذا الغرور عن تحقيق ما هو أفضل كان في حاجة إلىٰ التواضع ، ولما كان البعض قد يركن إلىٰ الراحة ، والتسويف حثه النبي ﷺ علىٰ المبادرة إلىٰ الفعل وترك التواني ، ولما كان العبد ضعيفا بنفسه قويا بالله تعالىٰ احتاج أن يظهر فقره بين يدي سيده ومدبر أمره تبارك وتعالىٰ ، وقد يخفق العبد المرة بعد المرة فلا ينبغي أن يحول ذلك بينه وبين تكرار المحاولة فهو أحوج ما يكون إلىٰ المثابرة ، ولما كان بعض الناس يحمل الماضي علىٰ كتفيه فيحول ذلك بينه وبين الإفادة من الحاضر والتخطيط للمستقبل حذره النبي ﷺ من ذلك ، كان هذا ملخصا لتلك الأسس ، وإليك تفصيل القول فيها :

الأساس الأول : القوة [المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف]

الحديث كما هو ظاهر يمدح القوة بكل معانيها ، وهو إلىٰ القوة المادية أقرب منه إلىٰ القوة الإيمانية كما سبق شرح ذلك قريبا ، وكثير مما دعا إليه

الشرع من أعمال البر تحتاج إلىٰ قوة لتحقيقها كالجهاد ، ونصرة الضعفاء ، بل حتىٰ العبادات المحضة كالصلاة والصوم تحتاج إلىٰ قوة ، يقول الدكتور عبد الكريم بكار : إن البدن مطية الروح ومن غير جسم قوي وصحيح سنجد أنفسنا عاجزين عن كثير من الأعمال التي نحلم بها[1] .

وفي نصوص الشريعة المطهرة جملة وافرة من الآيات والأحاديث التي تحث علىٰ تحصيل القوة المادية من ذلك مدح الله عز وجل عبده داود عليه السلام بالقوة ، وذلك في قوله تعالىٰ : ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ١٧] ، قال صاحب التحرير والتنوير : والأيد: القوة والشدة، مصدر: آد يئيد، إذا اشتد وقوي، ومنه التأييد التقوية، قال تعالىٰ: ﴿ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ ﴾ [الأنفال : ٢٦] ، وكان داود قد أعطي قوة نادرة وشجاعة وإقداما عجيبين وكان يرمي الحجر بالمقلاع فلا يخطئ الرمية، وكان يلوي الحديد ليصنعه سردا للدروع بأصابعه، وهذه القوة محمودة لأنه استعملها في نصر دين التوحيد[2] .

ومدح الله – تبارك وتعالىٰ – أيضا عبده طالوت بالقوة ، وجعلها من أسباب استحقاقه للملك فقال حاكيا عن نبي من أبياء بني إسرائيل : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا

(١) المسلم الجديد ٥١ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٣/ ٢٢٧ .

وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] ، قال الحافظ ابن كثير : ومن ههنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم وشكل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه[1] .

ومن أظهر النصوص الشرعية في الحث علىٰ تحصيل القوة وأدواتها قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ [الأنفال : ٦٠] ، وخير ما تفسر به هذه الآية ما أخرجه مسلم من حديث عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو علىٰ المنبر ، يقول : "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي"[2] .

وقوله ﷺ : " ألا إن القوة الرمي " لا ينفي كون غير الرمي معتبرا ، قال القرطبي : القوَّة : التقوىٰ بإعداد ما يحتاج إليه من الدروع ، والمجان ، والسيوف ، والرِّماح ، وسائر آلات الحرب ، والرَّمي ، إلا أنه لما كان الرَّمي أنكاها في العدو ، وأنفعها فسرها وخصصها بالذكر وأكدها ثلاثًا ، ولم يرد أنها كل العدّة ، بل أنفعها ، ووجه أنفعيتها : أن النكاية بالسِّهام تبلغ العدو من

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٠٢ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضل الرمي والحث عليه (٣/ ١٢٥٥/ ١٩١٧) .

الشجاع وغيره ، بخلاف السيف والرمح ، فإنه لا تحصل النكاية بهما إلا من الشجعان الممارسين للكرِّ والفرِّ ، وليس كل أحد كذلك ، ثم : إنها أقرب مؤنة ، وأيسر محاولة وإنكاء ، ألا ترىٰ أنه قد يرمي رأس الكتيبة فينهزم أصحابه ؛ إلىٰ غير ذلك مما يحصل منه من الفوائد[1] .

ومن الأمور التي تحتاج إلىٰ مزيد تأمل ، والتي تدل علىٰ أن الشريعة تؤكد علىٰ أهمية القوة المادية صلاة الخوف فبالرغم من كون المصلي متلبسا بعبادة عظيمة من أجل العبادات وهي الصلاة إلا أنه مطالب بحمل سلاحه معه قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًىٰ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [النساء : ١٠٢] .

وهذا يعني أن الانتصار علىٰ العدو لا يكون بالدعاء أو العبادة فقط بل لابد من وضع الخطط وإعداد العدة ، والأخذ بكل الأسباب التي في وسع العبد ، وسيرة النبي ﷺ والأنبياء من قبله تؤكد هذا فنوح عليه السلام لم يكتف

(١) المفهم ٣/ ٧٥٩ .

بالدعاء بل صنع السفينة كما أمره الله ، وما كان الله – تبارك وتعالىٰ – ليعجزه أن ينجيه بغير سفينة ، ونبينا ﷺ أعد الجيش ، ووضع الخطة يوم بدر ثم اجتهد في الدعاء ، وكذا فعل يوم الخندق حيث شارك أصحابه رضوان الله عليهم في حفر الخندق[1] ، ولم يكتف بالدعاء أو الصلاة.

---

(١) كان طول الخندق الذي حفره المسلمون ٥٥٤٤ م ، ومتوسط عمقه ٣٫٢٣٤ م ، ومتوسط عرضه ٤٫٦٢ م بحسب ما ذكره الدكتور شوقي أبو خليل في كتابه أطلس السيرة النبوية ١٣٦ .

ولا شك أن هذا عمل ضخم إذا نظرنا إلىٰ تواضع أدوات الحفر في ذلك الوقت ، بل وقلة الزاد مع شدة البرد فقد أخرج البخاري في كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق (٧/ ٤٥٣/ ٤٠٩٩) من حديث أنس رضي الله عنه ، قال : : خرج رسول الله ﷺ إلىٰ الخندق ، فإذا المهاجرون ، والأنصار يحفرون في غداة باردة ، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم .

وأخرج بعده من حديث أنس أيضا قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة ، وينقلون التراب علىٰ متونهم ، وهم يقولون : نحن الذين بايعوا محمدا علىٰ الإسلام ما بقينا أبدا

قال : يقول النبي ﷺ ، وهو يجيبهم : "اللهم إنه لا خير إلا خير الآخره ، فبارك في الأنصار والمهاجره" قال : يؤتون بملء كفي من الشعير ، فيصنع لهم بإهالة سنخة ، توضع بين يدي القوم ، والقوم جياع ، وهي بشعة في الحلق ، ولها ريح منتن .

والإهالة السَّنِخة هي الدهن الذي تعفن وتغير لونه وطعمه لقدمه . فتح الباري ٧/ ٤٥٦ .

وغير خاف أن القوة تختلف من زمن إلىٰ زمن فالمقاتل قديما كان يعتمد علىٰ قوته البدنية بصورة أكبر من الوقت الحاضر الذي صار في وسع المحارب أن يحرق بلدا بضغطة واحدة علىٰ زر صغير ، فالتقدم العلمي والتقني صار من أبرز معالم القوة في العصر الحديث ، ومالم تأخذ الأمة الإسلامية بأسباب القوة المعاصرة فستظل عالة علىٰ حضارة غيرها ، وسيظل عدوها هو الذي يدبر أمرها حتىٰ وإن صلىٰ أبناؤها ، وصاموا ، وتنفلوا .

(والتقدم العلمي والتقني ليس فقط شرطا للنهوض وبناء المستقبل ، وتحقيق الاستقلال والتخلص من التبعية والتحكم الأجنبي ، وإنما يتجاوز ذلك إلىٰ البعد الديني والمسلك الأخلاقي الذي يترتب علىٰ فعله الثواب وعلىٰ تركه العقاب والتأثم إنه من الفروض الكفائية ... ومن الإصابات التي لحقت بمسلمي اليوم أن عددا ممن اختاروا الطريق العلمي أو التقني كفاية لأمتهم ، وتحقيقا لما تقتضيه أمانة الاستخلاف في الأرض بدأ ينسحب من الساحة ، ويتوقف عن المتابعة في جامعته ومعهده ومخبره ليتحول إلىٰ واعظ ومفسر وفقيه يدخل نفسه في أمور كثيرة قد يقتضيها الاختصاص الدقيق واستحضار الأدوات الضرورية اللازمة للفهم وهو لم يتحقق بها ، وبذلك يزيد المسلمين تخلفا علىٰ تخلفهم واضطرابا وبعثرة وتمزقا ، ويدع مكانه واختصاصه معطلا ظنا منه أن عمله لا يقع ضمن التكاليف الشرعية ، ،

والأدهىٰ من ذلك كله ظن بعض المسلمين أن وجودهم في موقع الاستهلاك ، ووجود أعدائهم في موقع الإنتاج والتصنيع من نعم الله عليهم لأن الله سخر لهم الأعداء لخدمتهم ، ولهذه القلة من أبناء المسلمين نقول : إن ذلك من معطيات التخلف المغاير للمسيرة الحضارية الإسلامية وسائر إنجازاتها ... والبعض لا يرىٰ من الحضارة الغربية إلا عيوبها ، ويعفي نفسه من المسئولية ، وما عليه إلا الانتظار حتىٰ يؤول أمرها إلىٰ السقوط والانهيار ، وهذا لون من خداع النفس ... وعلىٰ الجانب الآخر لا يرىٰ بعض المسلمين اليوم من الحضارة المعاصرة إلا إنجازها وإبداعها إلىٰ درجة يصاب معها بضرب من العمىٰ عن أزمة إنسان هذه الحضارة ... علىٰ أن كثيرا من مسلمي اليوم يظنون أن مشكلة التقدم العلمي والتقني يمكن أن تحل بمزيد من الإخلاص والتوثب الروحي فقط بعيدا عن فقه آيات القرآن ، وهدي النبوة ، وسيرة السلف الصالح العملية ، وكيفيات تعاملهم مع الأسباب ، وإدراكهم علل الأشياء ، وسنن التغيير ، وقواعد التسخير)[1] .

ومن اللافت للنظر في حديث القرآن عن داود عليه السلام قوله تبارك وتعالىٰ : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ

(١) مقتطفات من مقدمة د / عمر عبيد حسنة لكتاب د / زغلول النجار " قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر " ٨ – ١٠ .

﴾ [الأنبياء : ٨٠] فهذا النبي الكريم صلوات الله عليه لم يمنعه كونه نبيا ملكا عن ممارسة العمل الحضاري النافع للبشرية متمثلا في حرفة الحدادة التي ربما نظر بعض أصحاب الترف في زماننا إلىٰ أصحابها نظرة ازدراء ، ولولا أصحاب الحرف ما كان أهل الترف ، وقد أثنىٰ عليه النبي ﷺ بقوله : " ما أكل أحد طعاما قط ، خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام ، كان يأكل من عمل يده "[1] ، وبمثل هذا العمل الذي قام به داود عليه السلام تقوم الحضارة .

يقول مالك بن نبي : إن المقياس العام في عملية الحضارة هو أن "الحضارة هي التي تلد منتجاتها " وسيكون من السخف والسخرية حتما أن نعكس هذه القاعدة حين نريد أن نصنع حضارة من منتجاتها[2] ، ويقول أيضا : إن علينا أن نكون حضارة أي أن نبني لا أن نكدس ، فالبناء وحده هو الذي يأتي بالحضارة لا التكديس ، ولنعلم أن تكديس منتجات الحضارة الغربية لن يصنع لنا حضارتنا[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده (٤/ ٣٥٥/ ٢٠٧٢) من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه .

(٢) شروط النهضة ٤٢ .

(٣) تأملات ١٦٩ باختصار .

الأساس الثاني : التواضع [وفي كل خير]

يأتي الأساس الثاني وهو التواضع بعد القوة لأنه إنما يتواضع القوي كما يزهد الغني ، وقد روي عن مالك بن دينار أنه قال : " الناس يقولون : مالك بن دينار زاهد ، مالك بن دينار زاهد ، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها "(1) ، والنصوص الواردة في الحث علىٰ التواضع ومدح من اتصف به تجل عن الحصر ، ولست هنا بصدد إحصائها ، يكفينا منها أن الله عز وجل أمر نبيه بالتواضع فقال : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٨٨] ، وقال أيضا : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٥] ، وإنما المقصود هنا بيان كيف يكون التواضع مقوما رئيسا من مقومات النجاح ، فقول النبي ﷺ : "وفي كل خير" يبين لنا من طرف خفي أن القوة إذا لم يصحبها تواضع كانت أداة هدم لا بناء ، وأن الإنسان إذا داخله شيء من العجب أو الاغترار أو احتقار الخلق لما أوتي من نعمة انقلبت النعمة عليه

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زياداته علىٰ المسند ٥/ ٢٤٧ عن فطر بن حماد بن واقد قال : حدثني أبي قال : سمعت مالك بن دينار يقول : ... فذكره ، وإسناده ضعيف لأن حماد بن واقد متفق علىٰ ضعفه لذا قال فيه الحافظ : ضعيف . تهذيب التهذيب ٣/ ١٨ ، تقريب التهذيب ١٧٩ .

نقمة ، وقد علم النبي ﷺ هذا الدرس لسيدنا سعد بن أبي وقاص لما رأىٰ أن له فضلا علىٰ من دونه فقال : " هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم "[1] ، والحق تبارك وتعالىٰ نثر فضله في الناس فربما كان المرء ضعيفا في بدنه لكنه قوي في عزيمته ، وربما كان العكس ، ومقياس التفاضل في الآخرة إنما هو بالتقوىٰ والعمل الصالح قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] وقد حذر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من احتقار المسلم لأخيه أو سخريته منه كما حث علىٰ التواضع وخفض الجناح قال تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴾ [الحجرات : ١١] ، وقال سبحانه في وصف عباده الذين يحبهم ويحبونه : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] وقال ﷺ : " المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يحقره التقوىٰ هاهنا – ويشير إلىٰ صدره ثلاث مرات – بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم علىٰ المسلم حرام ، دمه ، وماله ، وعرضه

(١) سبق تخريجه .

"[1] ، وقال أيضا : " إن الله أوحىٰ إلي أن تواضعوا حتىٰ لا يفخر أحد علىٰ أحد ، ولا يبغي أحد علىٰ أحد "[2] .

وإنما كان التواضع أساسا مهما من أسس النجاح في الدنيا قبل الآخرة لأنه يحقق أربعة أمور في غاية الأهمية لمن يريد تحقيق النجاح :

الأول : أن التواضع يعمل علىٰ زيادة الإنتاج وتجويده لأن عدم رضا الإنسان عن نفسه يدعوه إلىٰ بذل المزيد من الجهد ، والمسارعة إلىٰ التجويد والتحسين ، وهذا بلا شك يعود نفعه علىٰ الفرد والمجتمع بخلاف ما لو أعجبه حاله فإن ذلك سيقعد به عن الأفضل ، وسيحمله علىٰ احتقار الخلق .

يقول ابن عطاء الله السكندري : أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس ، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها ، ولأن تصحب جاهلاً لا يرضي عن نفسه خير من أن تصحب عالماً يرضي عن نفسه ، فأي علم لعالم يرضي عن نفسه ، وأي جهل لجاهل لا يرضىٰ عن نفسه[3] .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم (٤/ ١٩٨٦/ ٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٤/ ٢١٩٨/ ٢٨٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) شرح الحكم العطائية للنفري ٥٢ ، ١٧١ .

الثاني : أن التواضع يساعد صاحبه علىٰ الإفادة من خبرات الآخرين ، والتعاون معهم بخلاف الكبر فإنه يحجبه عن ذلك لأن صاحبه لا يرىٰ أحدا أفضل منه ، ولا يسمح لأحد أن يكون أفضل منه لو استطاع إلىٰ ذلك سبيلا .

ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم قول الله تعالىٰ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

هكذا أمر الله تعالىٰ نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه بعدما حثه علىٰ التواضع ، وفي السنة النبوية المطهرة جملة وافرة من الممارسات النبوية للشورىٰ التي أمره الله تعالىٰ بها ، وقد أخذ النبي ﷺ بآراء بعض الصحابة كحفر الخندق الذي أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه .

الثالث : أن التواضع يعين علىٰ تحقيق قدر كبير من الصحة النفسية ، فيمنح صاحبه السلام النفسي ، وهذا بلا شك يساعد الإنسان علىٰ تحقيق النجاحات في المناحي المتعددة ، وهذا بخلاف الكبر الذي يجر صاحبه إلىٰ خصومات متتابعة مع الآخرين تعود عليه بالضرر النفسي البالغ ، وهذا من أكبر أسباب الفشل .

الرابع : أن المتواضع عنده من الشجاعة ما يجعله يعترف بخطئه ، ويسعىٰ في إصلاحه ، فيعود ذلك عليه بالنفع ، بخلاف المتكبر فإنه يصر علىٰ الخطأ لظنه أن اعترافه بالخطأ ينقص من قدره ، فالكبر يحول بينه وبين تعديل المسار .

وقد عرف النبي ﷺ الكبر بأنه " بطر الحق ، وغمط الناس "[١] ، وبطر الحق هو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا ، وغمط الناس يعني احتقارهم[٢] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم ٢/ ٩٠ .

الأساس الثالث : المبادرة [احرص على ما ينفعك]

المبادرة مستفادة من قول النبي ﷺ "احرص علىٰ ما ينفعك" أي احرص علىٰ فعل ما ينفعك ، والنفع هنا أعم من أن يكون نفعا دينيا أو دنيويا ، وذلك لأن محبة الإنسان للخير ، ورغبته في تحصيله لا تكفي بل لابد أن ينضم إلىٰ ذلك المبادرة إلىٰ تحصيله ، وبذل الوسع في تحقيقه ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ [الإسراء : ١٩] فالآية تفيد أنه لابد من السعي لمن أراد الآخرة وإلا فإن إرادته الآخرة دون عمل لا تكفي ، فالحديث يفتح للإنسان بابا رحبا للنجاح ، والانعتاق من أوهام الأماني ، وأحلام اليقظة ، ويدعوه إلىٰ علو الهمة والتشمير عن ساعد الجد لبلوغ أعلىٰ المقامات .

يقول ابن الجوزي : من أعمل فكره الصافي دله علىٰ طلب أشرف المقامات ، ونهاه عن الرضا بالنقص في كل حال ، وقد قال أبو الطيب المتنبي :

ولم أر في عيوب الناس عيبًا ... كنقص القادرين علىٰ التمام

فينبغي للعاقل أن ينتهي إلىٰ غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للآدمي صعود السماوات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض ، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض ، غير أنه إذا لم

يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن ، والسيرة الجميلة عند الحكماء خروج النفس إلىٰ غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل[1] .

ويقول الشيخ محمد الغزالي : كثيرا ما يحب الإنسان أن يبدأ صفحة جديدة في حياته لكنه يقرن هذه البداية المرغوبة بموعد مع الأقدار المجهولة كتحسن في حالته أو تحول في مكانته ، وقد يقرنها بموسم معين ، أو مناسبة خاصة كعيد ميلاد أو غرة عام مثلا ، وهو في هذا التسويف يشعر بأن رافدا من روافد القوة المرموقة قد يجيء مع هذا الموعد فينشطه بعد خمول ، ويمنيه بعد إياس ، وهذا وهم فإن تجدد الحياة ينبع قبل كل شيء من داخل النفس... لا تعلق بناء حياتك علىٰ أمنية يلدها الغيب ، فإن هذا الإرجاء لن يعود عليك بخير ، الحاضر القريب الماثل بين يديك ، ونفسك هذه التي بين جنبيك ، والظروف الباسمة أو الكالحة التي تلتف حواليك هي وحدها الدعائم التي يتمخض عنها مستقبلك فلا مكان لإبطاء أو انتظار ... أعرف كثيرا من الناس لا يعوزهم الرأي الصائب فلهم من الفطنة ما يكشف أمامهم خوافي الأمور بيد أنهم لا يستفيدون شيئا من هذه الفطنة لأنهم محرومون من قوة الإقدام فيبقون في مكانهم محصورين بين مشاعر الحيرة والارتباك ... والحق أن الرجولات الضخمة لا تعرف إلا في ميدان الجرأة إن المجد والنجاح والإنتاج تظل

---

(١) صيد الخاطر ١٣٩ .

أحلاما لذيذة في نفوس أصحابها ، وما تتحول حقائق حية إلا إذا نفخ فيها العاملون من روحهم ، ووصلوها بما في الدنيا من حس وحركة[1] .

"إن أهم ما يميز الإنسان عن الجماد – عند النظرة الأولىٰ – هو الحركة ، والتغيير ما هو إلا فعل وحركة تنقل الإنسان من السيئ إلىٰ الحسن ، ومن الحسن إلىٰ الأحسن ، ولا يمكن أن يتحقق التغيير إن بقي الإنسان في مكانه كالجماد ، تنزل به المآسي ، يناله الظلم ، ويتعفن واقعه ، وتفسد البيئة من حوله ، وهو صامت ساكن"[2].

إن الدعاة والمصلحين ، والمذكرين يتفاوتون في عرض ما عندهم من البضاعة بحسب ما آتاهم الله من قوة الحجة ، وفصاحة اللسان لكنهم في حقيقة الأمر لا يقدمون لنا شيئا جديدا علينا نجهله ، وإنما يرغبوننا ، ويرهبوننا فيما نعلمه من خير أو شر ، وقد يعرض أحدهم بضاعته علىٰ طبق من ذهب فيستحسنها الجمع الغفير ، ويعرضها الآخر علىٰ طبق من خشب فلا يجد هذا الاستحسان ، إنما الجديد عندنا نحن ، وهو تحويل هذه الموعظة إلىٰ عمل ، وتحويل الكلام إلىٰ حركة فلا ينبغي أن ننتظر حتىٰ يقوم غيرنا بأعمالنا .

---

(١) جدد حياتك ١٢ ، ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) التغيير بين الرغبة والضرورة ٣٣ – ٣٤ .

والإنسان بارع في طرح المعاذير التي يتعلل بها لترك المبادرة كما قال الله عز وجل : ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۞ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ [القيامة : ١٤ ، ١٥] ، أخرج البخاري ومسلم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة - عليها السلام - بنت رسول الله ﷺ ، فقال لهم : " ألا تصلون ؟ " ، فقال علي : يا رسول الله ، إنما أنفسنا بيد الله ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف رسول الله ﷺ حين قال له ذلك ، ولم يرجع إليه شيئا ، ثم سمعه وهو مدبر ، يضرب فخذه وهو يقول : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾[١] [الكهف : ٥٤] ، إن ما قاله سيدنا علي رضي الله عنه صحيح في نفس الأمر لكنه لا يصلح أن يكون عذرا لترك المبادرة إلىٰ فعل الخير ، ولذلك فإن النبي ﷺ لم يجادله ، واكتفىٰ بقراءة الآية الدالة علىٰ ذلك مبينا أن القدر ليس عذرا يحتج به الإنسان علىٰ ترك فعل الخير[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام ، باب قول الله تعالىٰ : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ (١٣/ ٣٢٦/ ٧٣٤٧) ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتىٰ أصبح (١/ ٥٣٧/ ٧٧٥) .

(٢) قال الإمام النووي في شرحه علىٰ صحيح مسلم ٦/ ٦٥ : المختار في معناه أنه تعجب من سرعة جوابه وعدم موافقته له علىٰ الإعتذار بهذا ولهذا ضرب فخذه ، وقيل : قاله تسليما لعذرهما وأنه لا عتب عليهما . قلت : القول الثاني يأباه سياق الحديث .

وقد قطع النبي ﷺ بهذا الحديث الطريق علىٰ الذين يحتجون بالقدر ، ويعتذرون به عن تقصيرهم وتركهم المبادرة إلىٰ الصالحات بأن الله تعالىٰ أراد لهم هذا ، وأن كل شيء بقدر ، وجوابا عليهم نقول : إن الإنسان لا يستطيع أن يخرج بحال عن الذي قدره الله تعالىٰ ، ولكنه لا يستطيع أن يعرف ما قدر له إلا بعد وقوعه ، فعليه أن يبادر إلىٰ فعل الصالحات ، ثم ليقل بعد ذلك : إن الله قد كتب علىٰ هذا ، علىٰ أن علم الله تبارك وتعالىٰ بما سيفعله العبد بمحض اختياره لا يعني أن الله تعالىٰ أجبره علىٰ ذلك ، وقد قيل إن رجلا سرق في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما جيء به لتقطع يده قال : إنما سرقت بقدر الله ، فقال له عمر : ونحن سنقطع يدك بقدر الله[1] ، تالله ما أعجب أمر الإنسان ينسب التقصير لربه ، وينسب فعل الخير لنفسه فهو قدري الطاعات جبري المعاصي علىٰ حد قوله تعالىٰ : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ [النحل : ٦٢] .

لقد تفنن المنافقون في بسط الأعذار عن التخلف عن الغزو مع رسول الله ﷺ ، فكان جواب القرآن واضحا حاسما : ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ [التوبة : ٤٦] ، إن الأمر يحتاج إلىٰ عزيمة صادقة ، وتغلب علىٰ هوىٰ النفس ، والعاقل خصيم نفسه فإن فارقها بخطوة بلغ المطلوب ، وإن وقف

(١) ذكر هذه القصة شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية ٣/ ٢٤٣ ، ولم أقف لها علىٰ إسناد

عند الأماني والأحلام فقد خسر الدنيا والآخرة لأن "الرغبة والتمني وأحلام اليقظة هي بضاعة العاجز وحيلة الضعيف يلجأ إليها ويعوذ بها كلما هاله تخلفه عن زملائه وأفزعه فشله في حياته"(١) .

وفي قوله ﷺ : "احرص علىٰ ما ينفعك " إشارة إلىٰ تحديد الهدف ووضوح الغاية فليس كل أمور الخير تصلح لكل الناس ، وما يصلح في وقت قد لا يصلح في وقت آخر ، أو قد يكون هناك ما هو أصلح منه ، وذلك لاختلاف طبائع الناس وأحوالهم ، فعلىٰ المسلم أن يختار ما هو أنفع له في دينه ودنياه ، وألا يشتت نفسه في أبواب كثيرة حتىٰ لا تضيع عليه كلها ، ولا بأس أن يكتب أهدافه التي يسعىٰ لتحقيقها.

يقول الدكتور عبد الكريم بكار : " حياة من غير أهداف هي حياة من غير ثمر ولا أثر ، وإن كتابة المرء لأهدافه تزيد من احتمال تحقيقها بنسبة مضاعفة عشر مرات أي (١٠٠٠٪) لكن الناس يخافون من كتابة أهدافهم لأنهم لا يحبون الالتزام القوي بأي شيء "(٢) .

---

(١) منهج الإسلام في تربية الإرادة ٨٠ .

(٢) المسلم الجديد ١٠٠ .

الأساس الرابع : الاستعانة [واستعن بالله]

قد يجنح العبد إلىٰ الاعتماد علىٰ ما أوتي من نعمة ، وينسىٰ من أنعم عليه بها كما قال الله تعالىٰ : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ ۞ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ [العلق : ٦ ، ٧] ، وقد حكىٰ القرآن عن قارون قوله : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص : ٧٨] ، وعن فرعون قوله : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ﴾ [الزخرف : ٥١] ، وعن قوم عاد قولهم : ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت : ١٥] ، ومهما أوتي العبد من قوة فهو ضعيف ، وكيف لمخلوق لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا أن يكون قويا دون أن يكون له عون من الله تعالىٰ ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨] .

وفي قول النبي ﷺ " واستعن بالله " بعد قوله : " احرص علىٰ ما ينفعك " لفت نظر العبد وهو يسعىٰ فيما ينفعه في دينه أو دنياه إلىٰ البراءة من الحول والقوة ، والتعلق بالحق سبحانه وتعالىٰ ، وكبح لجماح نفسه أن تغتر بشيء مما آتاها الله من قوة ، وفي استعانة العبد بربه تبارك وتعالىٰ خير الدنيا والآخرة ، ولهذا يرددها مرارا في صلاته ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] ،

ولأجل هذا حث النبي ﷺ علىٰ الإكثار من قول "لا حول ولا قوة إلا بالله" ، وذكر أنها كنز من كنوز الجنة[1] .

قال ابن القيم : والاستعانة تجمع أصلين الثقة بالله ، والاعتماد عليه ، فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به لاستغنائه عنه ، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به لحاجته إليه ولعدم من يقوم مقامه فيحتاج إلىٰ اعتماده عليه مع أنه غير واثق به[2] .

وكلما استشعر العبد الحاجة والمسكنة ، وشهد فقره بين يدي ربه تبارك وتعالىٰ مرددا قول نبي الله موسىٰ عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٤] كلما كان ذلك أرجىٰ لإجابة دعوته ، وتحقيق طلبته ، كما قال ابن الجوزي : "تضاعف ما أمكنك فإن اللطف مع الضعف

(١) أخرج البخاري في كتاب الدعوات ، باب قول : لا حول ولا قوة إلا بالله (١١/ ٢١٧/ ٦٤٠٩) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٤/ ٢٠٧٦/ ٢٧٠٤) أن النبي ﷺ قال لأبي موسىٰ الأشعري : " يا أبا موسىٰ - أو : يا عبد الله - ألا أدلك علىٰ كلمة من كنز الجنة " قلت : بلىٰ ، قال : " لا حول ولا قوة إلا بالله " .

(٢) مدارج السالكين ١/ ٦١ .

أكثر" ، ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق : ٣] .

ومن غفلة العبد ، واستدراج الشيطان له أنه ربما لجأ إلىٰ الله تعالىٰ فيما يعجز عنه ، فإن انفتحت له السبل ، وتيسرت له الأسباب غفل عن اللجوء إلىٰ الله تعالىٰ كما قال الله تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ ﴾ [يونس : ١٢] ، وهذا صنيع من لم يستشعر لذة العبودية ، فخليق بالعبد أن يظل منطرحا بين يدي سيده طالبا منه التوفيق في كل أمر جليل أو دقيق ، تيسرت سبله أو تعسرت ، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حيث اجتهد في الدعاء والاستعانة بالله يوم بدر مع أن الله تعالىٰ وعده بالنصر حتىٰ قال له أبو بكر رضي الله عنه : " يا نبي الله ، كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك "(١) ، وقد علم النبي

(١) أخرج مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (٣/ ١٣٨٣/ ١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلىٰ المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا ، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ، ثم مد يديه ، فجعل يهتف بربه : " اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض " ، فما زال يهتف بربه ، مادا يديه مستقبل القبلة ، حتىٰ سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر

ﷺ أصحابه الاستخارة في الأمور كلها[1] ، وعلمهم ألا يسألوا الناس شيئا[2] ، وقال في وصيته العظيمة لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما : " يا غلام إني

= فأخذ رداءه ، فألقاه علىٰ منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبي الله ، كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك .

(١) أخرج البخاري في كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة (١١/ ١٨٧/ ٦٣٨٢) من حديث جابر رضي الله عنه ، قال : كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها ، كالسورة من القرآن : " إذا هم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول : اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال : في عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال : في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضني به ، ويسمي حاجته "

(٢) أخرج مسلم في كتاب الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس (٢/ ٧٢١/ ١٠٣٤) من حديث عوف بن مالك الأشجعي ، قال : كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال : " ألا تبايعون رسول الله ؟ " وكنا حديث عهد ببيعة ، فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ، ثم قال : " ألا تبايعون رسول الله ؟ " فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ، ثم قال : " ألا تبايعون رسول الله ؟ " قال : فبسطنا أيدينا وقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ، فعلام نبايعك ؟ قال : " علىٰ أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، والصلوات الخمس ، وتطيعوا - وأسر

أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف "[1] .

ولله در أبي الطيب المتنبي حين قال :

إذا كان عون الله للمرء شاملاً ... تهيأ له من كل شيء مراده

وإن لم يكن عون من الله للفتى ... فأول ما يجني عليه اجتهاده[2]

كلمة خفية – ولا تسألوا الناس شيئا " فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم ، فما يسأل أحدا يناوله إياه .

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة (٤/ ٦٦٧/ ٢٥١٦) – واللفظ له – وأحمد ١/ ٣٠٧ ، وعبد بن حميد ص ٢١٢ ح (٦٣٦) ، وأبو يعلى (١/ ١٠١/ ٩٦) ، والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٣٨/ ١٢٩٨٨ ، ١٢٩٨٩) ، والأوسط (٥/ ٣١٦/ ٥٤١٧) ، والحاكم (٣/ ٦٢٣/ ٦٣٠٣) ، (٣/ ٦٢٤/ ٦٣٠٤) من حديث ابن عباس ، قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يوما ، فقال : " يا غلام إني أعلمك كلمات .... الحديث .

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) نسبهما في الكشكول ٢/ ١٣٣ لأبي الطيب المتنبي ، ولم أجدهما في ديوانه .

الأساس الخامس : المثابرة [ولا تعجز]

إذا بذل المرء وسعه في تحقيق ما يصبو إليه من خير فلم يتحقق له مراده فعليه ألا يأس من إعادة المحاولة المرة بعد المرة مستعينا بالله تعالىٰ حتىٰ يتحقق له ما يريد ، ربما كان سيئا أن يفشل الإنسان لكن الأسوأ منه أن يظل فاشلا ، وهنا يأتي قول النبي ﷺ "ولا تعجز" ليفتح أمام المؤمن طاقة أمل تنير له الطريق ، لينبعث من جديد ، وليجدد نشاطه ، وليعيد النظر في محاولاته الماضية عله يقف علىٰ موضع الخلل ، وقد يبتلىٰ المرء ببعض المصائب التي لا ينفك عنها إنسان فلا ينبغي أن تفت تلك المصائب قوته ، وليصبر علىٰ البلاء راجيا الأجر من الله تعالىٰ ، وليستمر في العمل والجد مستخدما المتاح له من الملكات والإمكانيات ، وليحذر أن يدب اليأس إلىٰ نفسه فيشعر بالعجز.

" حين يخفق الناس في محاولة من المحاولات ، أو يفشلون في مشروع من المشروعات ، فإنهم ينقسمون إلىٰ قسمين : قسم ينسحبون من الساحة ، ويتوقفون عن المحاولة ، وقسم يثابرون ، ويبدؤون من جديد ، وإن القسم الأول هو القسم الخاسر لأن المرء ينتهي عندما ينسحب ، وليس عندما

يخسر[1] ، إن الذين لا يفشلون أبدا هم الكسالىٰ المحبطون والقاعدون عن طلب المعالي ، أما العاملون فإنهم تارة ينجحون وتارة يخفقون ، هذا هو الشيء الطبيعي[2] " .

إن حكمة الله تعالىٰ اقتضت أن تحفل حياتنا بالخير والشر ، وبالنعم والمصائب ، قال تعالىٰ : ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء : ٣٥] ، وإن رضا المؤمن بقضاء الله وقدره يمنحه القدرة علىٰ مواجهة مصاعب الحياة التي لا ينفك عنها إنسان ، وقد وصف الله عز وجل عباده المؤمنين بقوله : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] " أي : قالوا هذا القول معبرين به عن حالهم ومقتضىٰ إيمانهم ، وليس المراد بالقول مجرد النطق بهذه الكلمة علىٰ أن يحفظوها حفظا ، أو يلفظوها لفظا ، وإن كانوا لا يعقلون لها معنىٰ ، وإنما المراد التلبس بمعناها والتحقق في الإيمان بأنهم من خلق الله وملك الله وإلىٰ الله يرجعون ، فهو الذي بيده ملكوت كل شيء ، ولا يفعل إلا ما سبقت به الحكمة ، وارتضاه النظام الإلهي المعبر عنه بالسنة ، بحيث ينطلق اللسان بالكلمة بدافع الشعور بهذا المعنىٰ وتمكنه من النفس ، فأصحاب هذا الاعتقاد والشعور هم الجديرون بالصبر إيمانا وتسليما بحيث

---

(١) المسلم الجديد ١٠٧ .

(٢) قطار التقدم ٤١ .

لا يملك الجزع نفوسهم ، ولا تقعد المصائب هممهم ، بل تزيدهم ثباتا ومثابرة فيكونون هم الفائزين "[1] .

وتطبيقا لهذا الهدي القرآني فإن رسول الله ﷺ لما مات ولده إبراهيم عليه السلام قال : " إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضىٰ ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون "[2] ، ولما بعثت إليه احدىٰ بناته أن صبيا لها يجود بنفسه أرسل من يقول لها : " إن لله ما أخذ ، وله ما أعطىٰ ، وكل عنده بأجل مسمىٰ ، فلتصبر ، ولتحتسب "[3] .

إن هذا الصبر والتسليم لأمر الله تعالىٰ ، والرضا بقدره لا يعني الاستسلام للواقع ، وترك المثابرة ، بل المسلم مطالب بأن يدفع أقدار الله تعالىٰ بأقداره الأخرىٰ كما قال عمر رضي الله عنه لأبي عبيدة رضي الله عنه "

---

(١) تفسير المنار ٢/ ٣٣ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب قول النبي ﷺ : " إنا بك لمحزونون (٣/ ٢٠٦/ ١٣٠٣) ، ومسلم في كتاب الجنائز ، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال (٤/ ١٨٠٧/ ٢٣١٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب يعذب الميت ببعض بكاء أهله ... (٣/ ١٨٠/ ١٢٨٤)، ومسلم في كتاب الجنائز ، باب البكاء علىٰ الميت (٣/ ٦٣٥/ ٩٢٣) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه .

نفر من قدر الله إلىٰ قدر الله "[1] ، وهذا الإيمان الإيجابي بالقدر ، والصبر علىٰ البلاء رجاء الأجر من الله تعالىٰ هو مما يميز المسلم عن غيره ، وتأمل قول

(١) أخرج البخاري في كتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاعون (١٠/ ١٨٩/ ٥٧٢٩) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، خرج إلىٰ الشأم ، حتىٰ إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد ، أبوعبيدة بن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشأم . قال ابن عباس : فقال عمر : ادع لي المهاجرين الأولين ، فدعاهم فاستشارهم ، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشأم ، فاختلفوا ، فقال بعضهم : قد خرجت لأمر ، ولا نرىٰ أن ترجع عنه ، وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، ولا نرىٰ أن تقدمهم علىٰ هذا الوباء ، فقال : ارتفعوا عني ، ثم قال : ادعوا لي الأنصار ، فدعوتهم فاستشارهم ، فسلكوا سبيل المهاجرين ، واختلفوا كاختلافهم ، فقال : ارتفعوا عني ، ثم قال : ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعوتهم ، فلم يختلف منهم عليه رجلان ، فقالوا : نرىٰ أن ترجع بالناس ولا تقدمهم علىٰ هذا الوباء ، فنادىٰ عمر في الناس : إني مصبح علىٰ ظهر فأصبحوا عليه . قال أبوعبيدة بن الجراح : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ؟ نعم نفر من قدر الله إلىٰ قدر الله ، أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان ، إحداهما خصبة ، والأخرىٰ جدبة ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ قال : فجاء عبد الرحمن بن عوف – وكان متغيبا في بعض حاجته – فقال : إن عندي في هذا علما ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه " قال : فحمد الله عمر ثم انصرف .

الحق سبحانه ، وهو يحث المؤمنين علىٰ مبادأة العدو بالقتال ، وأخذ زمام المبادرة ، وترك الاعتذار بوجود الضعف أو الألم : ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء : ١٠٤] " أي ليس ما ينالكم من الآلام مختصاً بكم بل الأمر مشترك بينكم وبينهم ، ثم إنهم يصبرون علىٰ ذلك فما لكم أنتم لا تصبرون مع أنكم أولىٰ بالصبر منهم حيث أنكم ترجون وتطمعون من الله تعالىٰ ما لا يخطر لهم ببال من ظهور دينكم الحق علىٰ سائر الأديان الباطلة ، ومن الثواب الجزيل والنعيم المقيم في الآخرة "[1] .

وإذا ضاق الإنسان بقضاء الله وقدره فماذا عساه أن يفعل ؟ وماذا يمكنه أن يحصل سوىٰ الحسرة والألم؟ ، وليس هو بخارج أبدا عما قضاه الله وقدره ، فليس أمامه إلا الصبر ، ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم ، مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر ، فقال : " اتقي الله واصبري " قالت : إليك عني ، فإنك لم تصب بمصيبتي ، فقيل لها : إنه النبي ﷺ ، فأتت باب النبي ﷺ ، فلم تجد عنده بوابين ، فقالت : لم

---

(١) روح المعاني ٤/ ٢١٤ .

أعرفك ، فقال : " إنما الصبر عند الصدمة الأولىٰ "[1] ، وقد أحسن إبراهيم الحربي حيث قال : "أجمع عقلاء كل أمة أن من لم يجر مع القدر لم يتهن بعيشه"[2] .

وقد لا تتاح للإنسان الفرصة مثل غيره ، فليس له أن يتعلل بذلك بل عليه أن يثابر ، وأن يستخدم المتاح لتحقيق ما يرجوه من خير الدنيا والآخرة ، وقد قيل : " الناس رجلان رجل نام في النور ، وآخر استيقظ في الظلام " ، إن الله عز وجل لم يعذر المستضعفين الذين قصروا في الالتزام بأمره سبحانه لأن كان في وسعهم أن يهاجروا إلىٰ مكان آخر ، ولم يفعلوا قال عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ٩٧] ، ومن رائع ما جاد به يراع الشيخ محمد الغزالي قوله : والرجل المقبل علىٰ الدنيا بعزيمة وبصر لا تخضعه الظروف المحيطة به مهما ساءت ، ولا تصرفه وفق هواها ، إنه هو الذي يستفيد منها ، ويحتفظ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب زيارة القبور (٣/ ١٧٧/ ١٢٨٣) ، ومسلم في كتاب الجنائز ، باب في الصبر علىٰ المصائب (٢/ ٦٣٧/ ٩٢٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) تاريخ الإسلام ٢١/ ١٠٢ ، البداية والنهاية ١١/ ٧٩ .

بخصائصه أمامها كبذور الأزهار التي تطمر تحت أكوام السبخ ، ثم هي تشق الطريق إلىٰ أعلىٰ مستقبلة ضوء الشمس برائحتها المنعشة ، لقد حولت الحمأ المسنون ، والماء الكدر إلىٰ لون بهيج وعطر فواح ، كذلك الإنسان إذا ملك نفسه ، وملك وقته ، واحتفظ بحرية الحركة لقاء ما يواجه من شئون كريهة ، إنه يقدر علىٰ فعل الكثير دون انتظار أمداد خارجية تساعده علىٰ ما يريد ، إنه بقواه الكامنة ، وملكاته المدفونة فيه ، والفرص المحدودة أو التافهة المتاحة له يستطيع أن يبني حياته من جديد[1] .

يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي : "إن العواصف الجوية والأعاصير تجر معها غالبا سيولا هائلة من الماء ، سيولا تترك وراءها في البلد الذي تجتاحه الخراب والموت ، ولكنها تترك أيضا علىٰ وجه الأديم طميا تتجدد به الحياة في هذا البلد فتنشط وتنمو في الطبيعة الجديدة بأنواع النبات والحيوان المتجدد"[2].

وللشاعر محمد إبراهيم أبو سنة قصيدة شهيرة من الشعر الحر مطلعها "البحر موعدنا وشاطئنا العواصف "، جاء فيها قوله :

لن يرحم الموج الجبان

---

(١) جدد حياتك ١٢ .

(٢) تأملات ٩٩ .

ولن ينال الأمن خائف

جازف ...

ولا تأمن لهذا الليل أن يمضي

ولا أن يصلح الأشياء تالف

جازف ...

فإن سدت جميع طرائق الدنيا أمامك

فاقتحمها ...

لا تقف ...

كي لا تموت وأنت واقف .

الأساس السادس : الخروج من أسر الماضي [ولا تقل لو أني فعلت كذا ...]

يشعر الإنسان بالعجز حين يحمل الماضي علىٰ كتفيه فلا يتمكن من الإفادة من حاضره ، ولا التخطيط لمستقبله ، وليته إذ فعل ذلك استعاد الماضي فأصلحه كما يحب ، وبهذا يذهب عليه الوقت هدرا ، إن ما فات قد مات فهيهات أن يمنع الإنسان وقوع حدث قد وقع بالفعل فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، إن التعامل الصحيح مع الماضي أن يعلمنا ، ولا يؤلمنا ، أن تعلم منه الدرس ، ونتحسس أسباب الإخفاق ثم ننطلق إلىٰ الأمام غير منشغلين بما ألم بنا من مصائب أو محن ، أما "لو" ، و "ليت" وأشباههما فلن تورثنا إلا الحسرة والندم ، وهذا هو عمل الشيطان ، " فمطاردتنا للأفعىٰ السامة التي لدغتنا لن يعود علينا بشيء سوىٰ سريان السم في كل أعضاء جسمنا ، فالأفضل في هذه الحالة اتخاذ التدابير اللازمة لاستخراج السم "(1) .

" لقد أراد مستر براندوين أن يعلم تلاميذه هذا الدرس فاصطحب معه إلىٰ قاعة المحاضرات زجاجة لبن ووضعها أمامه علىٰ المكتب ، فلما تعلقت بها أبصار التلاميذ ضربها بيده فتحطمت ، وسال ما فيها من اللبن علىٰ الأرض

(1) العادات السبع للناس الأكثر فعالية 111 .

ثم صاح : لا يبك أحدكم علىٰ اللبن المراق ، لقد ذهب اللبن واستوعبته البالوعة ، فمهما تشد شعرك وتسمح للهم والنكد أن يمسكا بخناقك فلن تستعيد منه قطرة واحدة ، كان يمكن بشيء من الحيطة والحذر أن نتلافىٰ هذه الخسارة ، ولكن فات الوقت ، وكل ما نستطيعه أن نمحو أثرها وننساها ثم نعود إلىٰ العمل بهمة ونشاط"[1] .

" ما قيمة لطم الخدود علىٰ حدث فات أو غرم ناب ؟ ما قيمة أن ينجذب المرء بأفكاره ومشاعره إلىٰ حدث طواه الزمن ليزيد ألمه حرقة وقلبه لذعا ؟ لو أن أيدينا يمكنها أن تمتد إلىٰ الماضي لتمسك حوادثه المدبرة ، فتغير منها ما تكره ، وتحورها علىٰ ما تحب لكانت العودة إلىٰ الماضي واجبة ، ولهرعنا جميعا إليه نمحو ما ندمنا علىٰ فعله ، ونضاعف ما قلت أنصبتنا منها ، أما وذلك مستحيل فخير لنا أن نكرس الجهود لما نستأنف من أيام وليال ففيها وحدها العوض"[2] .

إن الوقت هو أنفس ما يملكه المرء ، وقيمة الإنسان تتفاوت بحسب طريقته في إدارة وقته ، وهل الإنسان إلا مجموعة من الأيام كما قال الحسن

---

(١) دع القلق وابدأ الحياة ١٣٣ - ١٣٤ .

(٢) جدد حياتك ٨٨ .

البصري : " يا ابن آدم إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك "[1] ، ورغم نفاسته ، وسرعة انصرامه فإن الناس يدفعونه دفعا عجيبا ، ولأجل هذا قال النبي ﷺ : " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ "[2] ، فلا يليق بمن يرغب في النجاح أن يكون عنده وقت فراغ ، قال تبارك وتعالىٰ : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ [الشرح : ٧] أي إذا فرغت من عمل فأتعب نفسك في عمل آخر ، وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : " إني لأمقت الرجل أراه فارغا ، لا في أمر الدنيا ، ولا في أمر الآخرة "[3] .

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٤٨ ، تاريخ الإسلام ٧/ ٥٦ ، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨٥ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب لا عيش إلا عيش الآخرة (١١/ ٢٣٣/ ٦٤١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه وكيع في الزهد (١/ ٤١٨/ ٣٦٢) قال : حدثنا الأعمش - ومن طريقه أخرجه أحمد في الزهد ص ١٥٩ ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٠٨/ ٣٤٥٦٢) ، وهناد بن السري في الزهد (٢/ ٣٥٧/ ٦٧٦) ، وأبو داود في الزهد ح (١٧٤) ، وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٣٠ ، والبيهقي في الزهد (١/ ٢٩٤/ ٧٧٤، ٧٧٥) - عن المسيب بن رافع قال : قال عبد الله ... فذكره ..

ورجاله ثقات لكنه منقطع فالمسيب بن رافع لم يلق ابن مسعود [تحفة التحصيل ٤٩٨] ، ورواه الأعمش عن يحيىٰ بن وثاب عن ابن مسعود أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٠٢/ ٨٥٣٨) ، وعنه أبو نعيم في الحلية ١/ ١٣٠ ، وهو منقطع أيضا فيحيىٰ بن

وجدير بالإنسان ألا يضيع وقته في التفكير في الماضي ، فاللحظة التي نعيشها سرعان ما تتحول إلىٰ ماضي ، فإذا بكينا علىٰ الماضي سنظل نبكي إلىٰ الأبد ، "والوقت هو العملة الوحيدة التي لا تبطل ، ولا تسترد إذا ضاعت ، إن العملة الذهبية يمكن أن تضيع ، وأن يجدها المرء بعد ضياعها ، ولكن لا تستطيع أي قوة في العالم أن تحطم دقيقة ، ولا أن تستعيدها إذا مضت"[1] .

إن أهل النار يطلبون من الله تبارك وتعالىٰ وقتا إضافيا ليستدركوا ما فاتهم في الدنيا فلا يجابون إلىٰ ذلك قال تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٧ ، ٢٨] ، وإن المفرط حين يأتيه الموت يتمنىٰ لو أخر ليعمل الصالحات فلا يجاب إلىٰ ذلك قال تعالىٰ : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ

= وثاب لم يسمع من ابن مسعود [تحفة التحصيل ٥٧٤] ، وأخرجه ابن المبارك في الزهد ص٢٥٦ ، ح (٧٤١) قال : أخبرنا سفيان عن سليمان يعني الأعمش عن أصحابه قال : قال عبد الله ... هكذا بإبهام الواسطة بين الأعمش ، وابن مسعود .

ولم أجد له طريقا سالما من الانقطاع ، لكن لا بأس من الاستئناس بمثله .

(١) شروط النهضة ١٤٠ .

﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

فجدير بالمسلم أن يغتنم ذلك الكنز العظيم الذي يمثله الوقت، وأن يكون نظره إلىٰ الأمام لا إلىٰ الخلف، وأن يتعلم من ماضيه ما يصلح به حاضره، وما يخطط به لمستقبله، وكما أنه لا ينبغي للإنسان أن يحمل هم الماضي، عليه أيضا ألا يحمل هم المستقبل، وأن يستبشر خيرا مع التخطيط الجاد، وبذل الوسع، " فليست الأفكار السارة، ولا الأفكار الحزينة تغير شيئا من أقدار الله لكن من خلال الأفكار الجميلة والمشاعر العذبة نحصل علىٰ سرور وسعادة وانشراح دون مقابل، ومن خلال الأفكار السوداء والمشاعر السلبية نشتري تعاسة وحزنا دون أي مسوغ، وقد كان ﷺ يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة والتشاؤم[١]، ولنا في هديه ﷺ دليل وأي دليل إلىٰ الهناء[٢]، إن

(١) أخرج البخاري في كتاب الطب، باب الطيرة (١٠/ ٢٢٣/ ٥٧٥٤)، ومسلم في كتاب السلام، باب الطيرة (٤/ ١٧٤٥/ ٢٢٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " لا طيرة، وخيرها الفأل " قالوا: وما الفأل؟ قال: " الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم "

(٢) من أجل النجاح ٦٨.

استحضار هموم المستقبل يفسد ما لدىٰ الإنسان من سكينة وسعادة ، وليس هذا من الحكمة في شيء ، وقد قيل : (لا تعبر الجسر قبل أن تصل إليه)"[1] .

(١) المسلم الجديد ٩٦ .

الخاتمة

وفي ختام هذا التطواف فإني أدعو المسلمين عامة ، والمشتغلين بعلوم السنة خاصة إلىٰ إعادة قراءة السنة النبوية المشرفة قراءة جديدة لا علىٰ أساس أنها مجموعة من الأوامر والنواهي فقط ، بل علىٰ أساس أنها مشروع لبناء إنسان ناجح في دينه ودنياه ، وهذه الطريقة في قراءة السنة المشرفة سيكون لها أكبر الأثر في انتشار نورها ، وإفادة الإنسان المعاصر منها .

إن السنة النبوية المطهرة حافلة بنماذج عديدة من مثل هذا الحديث تفتح لنا أبوابا رحبة نحو الصلاح والإصلاح ، وعلىٰ المشتغلين بعلوم السنة ألا يكتفوا بطرح ما دونه أهل العلم في كتب شروح الحديث ، وإنما عليهم أن يصوغوه بطريقة جديدة ، وأن يطعموه بما يحتاج إليه المسلم من الثقافة المعاصرة لينتفع به أكبر عدد ممكن من الناس ، فهذا ضرب من ضروب التجديد الحق للخطاب الديني الذي تمس الحاجة إليه في زماننا .

فهرس المصادر والمراجع[1]

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض ، مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي .

(٢) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة- بيروت ، الطبعة الأولىٰ (١٤٠٨ هـ).

(٣) الأسماء والصفات : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، تصوير دار الكتب العلمية - بيروت .

(٤) أطلس السيرة النبوية : د / شوقي أبو خليل ، دار الفكر المعاصر – سوريا ، إعادة (١٤٣٢هـ) .

(٥) إكمال إكمال المعلم : محمد بن خليفة الأبي ، تصوير دار الكتب العلمية – بيروت.

(٦) إكمال المعلم : القاضي عياض بن موسىٰ اليحصبي ، تحقيق : د / يحيىٰ إسماعيل ، دار الوفاء ، الطبعة الأولىٰ (١٤١٩هـ) .

(٧) إكمال تهذيب الكمال : علاء الدين مغلطاي ، تحقيق عادل بن محمد ،

---

(١) ما أهمل فيه ذكر بلد الطبع فهو مما طبع بمصر ، وما لم أذكر فيه سنة الطبع أو الطبعة فقد أهملت في النسخة التي وقعت لي .

الفاروق الحديثة ، الطبعة الأولىٰ (١٤٢٢هـ) .

(٨) الأنساب : لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني ، تحقيق : العلامة عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي اليماني ، وآخرين ، دائرة المعارف العثمانية– الهند، تصوير مكتبة ابن تيمية .

(٩) بغية الباحث : الحافظ نور الدين الهيثمي ، تحقيق د/ حسين أحمد الباكري ، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة ، الطبعة الأولىٰ (١٤١٣هـ) .

(١٠) البلاغة العربية : عبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم – سوريا ، الطبعة الأولىٰ (١٤١٦هـ) .

(١١) البلاغة الواضحة : علي الجارم ومصطفىٰ أمين ، دار المعارف (١٩٩٩م) .

(١٢) تاريخ أسماء الثقات : أبو حفص عمر بن شاهين ، تحقيق أبي عمر الأزهري ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، الطبعة الأولىٰ (١٤٣٠هـ) .

(١٣) تاريخ أصبهان : لأبي نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني ، تحقيق: سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية- بيروت ، الطبعة الأولىٰ (١٤١٠هـ) .

(١٤) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : الحافظ محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي ، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري. دار الكتاب العربي–بير

وت. الطبعة الأولىٰ (١٤٠٧هـ- وما بعدها) .

(١٥) التاريخ الكبير: لمحمد بن إسماعيل البخاري. مطبعة دار المعارف العثمانية- الهند. تصوير دار الفكر- بيروت.

(١٦) تاريخ بغداد: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي. المكتبة السلفية ، المدينة المنورة .

(١٧) تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي= ابن عساكر تحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، سنة (١٤١٥هـ) .

(١٨) تأملات : مالك بن نبي ، دار الفكر المعاصر – سوريا ، إعادة (١٤٢٣هـ) .

(١٩) التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون – تونس .

(٢٠) تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل : ولي الدين أبو زرعة العراقي ، تحقيق د/ رفعت فوزي ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولىٰ (١٤٢٠هـ) .

(٢١) التغيير بين الرغبة والضرورة : أحمد محمد السويلم .

(٢٢) تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، دار الفكر – بيروت ، (١٤٠١هـ) .

(٢٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ، دار المنار ، الطبعة الثانية

(١٣٦٦هـ) .

(٢٤) تقريب التهذيب: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد ، سوريا . الطبعة الأولىٰ ١٤٠٦هـ .

(٢٥) تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم : محمد تقي العثماني ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولىٰ (١٤٢٦هـ) .

(٢٦) تهذيب التهذيب: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولىٰ (١٤٠٤هـ).

(٢٧) تهذيب الكمال في أسماء الرجال: أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن المزي: تحقيق: د/ بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة- بيروت. الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ).

(٢٨) الثقات: أبو حاتم محمد بن حبان البستي. تحت مراقبة: د/ محمد عبدالمعيد خان. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- الهند. الطبعة الأولىٰ (١٣٩٣ هـ- ١٤٠٣).

(٢٩) جامع بيان العلم وفضله : أبو عمر بن عبد البر ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولىٰ (١٤٢٤هـ).

(٣٠) جامع التحصيل في أحكام المراسيل : صلاح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلدي العلائي. تحقيق جمدي عبد المجيد السلفي ، عالم الكتب ، مكتبة

النهضة الحديثة – بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ) .

(٣١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي. تحقيق: د/ محمود الطحان. مكتبة المعارف- الرياض. الطبعة الأولي (١٤٠٣هـ).

(٣٢) جدد حياتك : محمد الغزالي ، مكتبة نهضة مصر ، الطبعة التاسعة (٢٠٠٥م) .

(٣٣) الحديث النبوي وعلم النفس : د / محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، الطبعة السادسة (١٤٢٧هـ) .

(٣٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني. تصوير دار الكتب العلمية .

(٣٥) حماسة الظرفاء : عبد الله بن محمد بن يوسف الزوزني ، نسخة إلكترونية بدون أي بيانات.

(٣٦) دع القلق وابدأ الحياة : ديل كارنيجي ، تعريب : عبد المنعم محمد الزيادي ، الطبعة السادسة عشرة (١٩٩٤م) .

(٣٧) الديباج علىٰ صحيح مسلم بن الحجاج : الإمام السيوطي ، تحقيق أبي إسحاق الحويني ، دار ابن عفان – السعودية ، (١٤١٦ه) .

(٣٨) الرضا عن الله بقضائه : عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا

البغدادي ، تحقيق : ضياء الحسن السلفي ، الدار السلفية – بومباي ، الطبعة الأولىٰ (١٤١٠هـ) .

(٣٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، تصوير دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٤٠) الزهد : لأبي داود السجستاني تحقيق: ضياء الحسن السلفي. الدار السلفية: بومباي- بالهند. الطبعة الأولىٰ (١٤١٣هـ) .

(٤١) الزهد : لعبدالله بن المبارك ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. طبعة الهند ، تصوير دار الكتب العلمية- بيروت.

(٤٢) الزهد : لهناد بن السري . تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي. دار الخلفاء للكتاب الإسلامي- الكويت. الطبعة الأولىٰ (١٤٠٦ هـ).

(٤٣) الزهد : لوكيع بن الجراح. تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي. مكتبة الدار- المدينة المنورة. الطبعة الأولىٰ (١٤٠٤ هـ).

(٤٤) الزهد الكبير : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق: عامر أحمد حيدر. مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت. الطبعة الأولىٰ (١٤٠٨ هـ).

(٤٥) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي : أبو عبيد البكري ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، تصوير دار الكتب العلمية (١٣٥٤هـ) .

(٤٦) السنة : لأبي بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني البصري= ابن أبي عاصم تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي- بيروت. الطبعة الأولىٰ (١٤٠٠هـ).

(٤٧) السنن الصغرىٰ (المجتبىٰ): لأحمد بن شعيب بن علي النسائي. ترقيم عبدالفتاح أبو غدة. تصوير مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

(٤٨) السنن الصغير: لأحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق مأمون خليل شيحا. دار المعرفة - بيروت. الطبعة الأولىٰ (١٤١٠هـ).

(٤٩) السنن الكبرىٰ: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند. الطبعة الأولىٰ (١٣٤٤ هـ)، تصوير دار المعرفة- بيروت.

(٥٠) السنن الكبرىٰ: أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، تحقيق: دكتور عبدالغفار البنداري ، وسيد كسروي. دار الكتب العلمية- بيروت. الطبعة الأولىٰ (١٤١١ هـ).

(٥١) السنن المأثورة : لمحمد بن إدريس الشافعي. تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي دار المعرفة- بيروت. الطبعة الأولىٰ (١٤٠٦ هـ).

(٥٢) السنن: أبو داود السجستاني. تحقيق: عزت عبيد الدعاس ، وعادل السيد . دار ابن حزم – بيروت. الطبعة الأولىٰ (١٤١٨ هـ).

(٥٣) السنن: عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي بتحقيق: فواز أحمد زمرلي ، وخالد السبع ، دار الريان للتراث مصر . الطبعة الأولىٰ. (١٤٠٧هـ) .

(٥٤) السنن: محمد بن يزيد القزويني = ابن ماجه. تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي. دار الحديث.

(٥٥) السنن:أبو عيسي محمد بن عيسي بن سورة الترمذي. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض. تصوير دار الحديث .

(٥٦) سؤالات أبي عبد الرحمن السلمي لأبي الحسن الدارقطني ، تحقيق أبي عمر الأزهري ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، الطبعة الأولىٰ (١٤٢٧هـ) .

(٥٧) سؤالات مسعود بن علي السجزي لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق أبي عمر الأزهري ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، الطبعة الأولىٰ (١٤٢٧هـ) .

(٥٨) سير أعلام النبلاء: الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وبشار عواد، وغيرهما. مؤسسة الرسالة– بيروت. الطبعة

الثانية (١٤٠٢ هـ- ١٤٠٥ هـ) .

(٥٩) شرح ابن عثيمين علىٰ رياض الصالحين : محمد بن صالح العثيمين ، دار الوطن - الرياض ، الطبعة الأولىٰ (١٤٢٦هـ) .

(٦٠) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبراني اللالكائي ، تحقيق: د/ أحمد سعد حمدان. دار طيبة- الرياض. الطبعة الأولىٰ (١٤٠٢هـ) .

(٦١) شرح الحكم العطائية : محمد بن عباد النفزي الرندي ، تحقيق : محمد عبد المقصود هيكل ، مركز الأهرام ، الطبعة الأولىٰ (١٤٠٨هـ) .

(٦٢) شرح السنة: محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش. المكتب الاسلامي- بيروت. الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ).

(٦٣) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم بن الحجاج [يعرف بالمنهاج] : الإمام أبو زكريا يحيىٰ بن شرف النووي ، دار إحياء التراث ، (١٣٩٢ه) .

(٦٤) شرح صحيح البخارىٰ : أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي ، تحقيق : أبي تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد - الرياض ، الطبعة الثانية (١٤٢٣هـ).

(٦٥) شرح مشكل الآثار : للطحاوي ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة

الرسالة-بيروت. الطبعة الأولىٰ (١٤١٥هـ) .

(٦٦) شروط النهضة : مالك بن نبي ، دار الفكر المعاصر – سوريا ، إعادة (١٤٠٦هـ) .

(٦٧) شعب الإيمان : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية- بيروت. الطبعة الأولىٰ (١٤١٠ هـ).

(٦٨) صحيح مسلم : الإمام مسلم بن الحجاج ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث – بيروت .

(٦٩) صيد الخاطر : أبو الفرج ابن الجوزي ، مكتبة مصر ، الطبعة الأولىٰ (١٤٢٨هـ) .

(٧٠) طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها: لأبي محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني= أبي الشيخ. دراسة وتحقيق عبد الغفور عبد الحق البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الأولىٰ (١٤٠٧هـ) .

(٧١) العادات السبع للناس الأكثر فعالية : ستيفين كوفي ، مكتبة جرير – الرياض ، الطبعة الحادية والعشرين (٢٠٠٩هـ) .

(٧٢) علل الحديث : عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي= ابن أبي حاتم. تحقيق: محب الدين الخطيب ، تصوير دار المعرفة – بيروت ، (١٤٠٥

هـ).

(٧٣) العلل الواردة في الأحاديث النبوية : علي بن عمر الدارقطني . تحقيق: د/ محفوظ الرحمن زين الله السلفي. دار طيبة، المدينة المنورة. الطبعة الأولىٰ (١٤٠٥- ١٤١٢هـ).

(٧٤) عمدة القاري بشرح صحيح البخاري : لبدر الدين العيني ، دار إحياء التراث ، بيروت .

(٧٥) عمل اليوم والليلة : لأحمد بن محمد الدينوري= ابن السني ، تحقيق أبي محمد بن عبد الرحمن البرني، دار القبلة، جدة، مؤسسة علوم القرآن- بيروت .

(٧٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: محب الدين الخطيب، وراجعه قصي محب الدين الخطيب. المكتبة السلفية ، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ) .

(٧٧) فتح الملهم بشرح صحيح مسلم : شبير أحمد العثماني ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولىٰ (١٤٢٦هـ) .

(٧٨) فتح المنعم شرح صحيح مسلم : د / موسىٰ شاهين لاشين ، مكتبة الشروق ، الطبعة الأولىٰ (١٤٢٣هـ).

(٧٩) الفقيه والمتفقه : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ،

المعروف بالخطيب البغدادي ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ، دار ابن الجوزي بالسعودية ، الطبعة الأولىٰ (١٤١٧هـ) .

(٨٠) الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب (المهروانيات) : أبو القاسم المهرواني ، تخريج الخطيب البغدادي ، تحقيق سعود بن عيد الجربوعي ، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة ، الطبعة الأولىٰ (١٤٢٢هـ) .

(٨١) فيض القدير شرح الجامع الصغير : عبد الرؤوف المناوي ، المكتبة التجارية الكبرىٰ ، تصوير دار المعرفة – بيروت ، (١٣٩١هـ) .

(٨٢) القراءة خلف الإمام [مطبوع باسم "خير الكلام في القراءة خلف الإمام"]: محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق د/ علي عبد الباسط مزيد ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولىٰ (١٤٢١هـ) .

(٨٣) القضاء والقدر : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق صلاح الدين عباس ، مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة الأولىٰ (١٤٢٦هـ) .

(٨٤) قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر : د / زغلول النجار ، مكتبة وهبة ، الطبعة الأولىٰ (٢٠٠٦م) .

(٨٥) قطار التقدم : د / عبد الكريم بكار ، دار وجوه – الرياض ، الطبعة الأولىٰ (١٤٣٣هـ) .

(٨٦) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: الحافظ محمد بن

أحمد بن عثمان الذهبي ، قدم له وعلق عليه محمد عوامة، وخرج نصوصه أحمد نمر الخطيب. دار القبلة- مؤسسة علوم القرآن. الطبعة الأولىٰ (١٤١٣ هـ).

(٨٧) كتاب الأمثال في الحديث النبوي : أبي محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان ، تحقيق : د / عبد العلي عبد الحميد حامد ، الدار السلفية - بومباي الهند ، الطبعة الثانية (١٩٨٧) .

(٨٨) كتاب الصبر والثواب عليه : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا ، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولىٰ (١٤١٨ه) .

(٨٩) كتاب الضعفاء الكبير : أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسي العقيلي ، تحقيق: د/ مازن السرساوي ، دار ابن عباس الطبعة الثانية (١٤٢٩هـ) .

(٩٠) كتاب الطبقات الكبير : محمد بن سعد كاتب الواقدي ، تحقيق د/ علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢١ هـ) .

(٩١) كشف المشكل من حديث الصحيحين : أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، تحقيق : علي حسين البواب ، دار الوطن – الرياض (١٤١٨هـ) .

(٩٢) الكشكول : بهاء الدين محمد بن حسين العاملي ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولىٰ (١٤١٨هـ) .

(٩٣) الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة : أبو البركات محمد بن أحمد (ابن الكيال) ، تحقيق: عبدالقيوم عبد رب النبي ، دار المأمون – بيروت ، الطبعة الأولىٰ (١٤٠١هـ) .

(٩٤) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : أبو الحسن الندوي ، مكتبة الإيمان .

(٩٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : لعلي بن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي ، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) .

(٩٦) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية : أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، جمع : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، تصوير مكتبة ابن تيمية.

(٩٧) المحاسن والمساوئ : إبراهيم بن محمد البيهقي ، دار المعارف ،

(٩٨) مدارج السالكين : شمس الدين محمد بن أبي بكر (ابن القيم) ، دار العقيدة ، الطبعة الأولىٰ (١٤٣٠هـ) .

(٩٩) المدخل إلىٰ معرفة الصحيح من السقيم : أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق د/ إبراهيم بن علي آل كليب ، مكتبة العبيكان – السعودية ، الطبعة الأولىٰ (١٤٢٣هـ) .

(١٠٠) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : علي بن سلطان محمد القاري

، تحقيق : جمال عيتاني ، دار الكتب العلمية بيروت (١٤٢٢هـ) .

(١٠١) المستدرك علىٰ الصحيحين: أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية- بيروت ، الطبعة الأولىٰ (١٤١١ هـ) .

(١٠٢) المسلم الجديد : د / عبد الكريم بكار ، دار السلام ، الطبعة الأولىٰ (١٤٣٢ هـ) .

(١٠٣) المسند : أبو داود سليمان بن داود بن الجارود = الطيالسي ، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي. دار هجر ، الطبعة الأولىٰ.(١٤١٩هـ) .

(١٠٤) المسند : عبد الله بن الزبير الحميدي. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. المكتبة السلفية- المدينة المنورة. تصوير عالم الكتب - بيروت .

(١٠٥) المسند : للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، نسخة مصورة عن الطبعة الميمنية ، مكتبة قرطبة.

(١٠٦) مسند ابن أبي شيبة : للحافظ أبي بكرعبدالله بن محمد بن أبي شيبة. تحقيق: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي دار الوطن. الطبعة الأولىٰ (١٤١٨هـ).

(١٠٧) مسند البزار = البحر الزخار : أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البزار ، تحقيق: د/ محفوظ الرحمن زين الله. مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة.

الطبعة الأولىٰ (١٤٠٩ هـ).

(١٠٨) مسند الروياني : محمد بن هارون الروياني : تحقيق أيمن علي أبو يماني. مؤسسة قرطبة ، الطبعة الأولىٰ (١٤١٦هـ).

(١٠٩) مسند الشاميين : لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب- الطبراني. تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي. موسسة الرسالة- بيروت. الطبعة الأولىٰ (١٤٠٩ هـ).

(١١٠) المسند: أبو يعلىٰ أحمد بن علي بن المثنىٰ الموصلي. تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث، دمشق. الطبعة الأولىٰ (١٤٠٤هـ).

(١١١) المسند: عبدالله بن المبارك المروزي. تحقيق : د/ صبحي البدري السامرائي، مكتبة المعارف- الرياض. الطبعة الأولىٰ (١٤٠٧ هـ) .

(١١٢) المصنف : عبدالرزاق بن همام الصنعاني. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. المكتب الإسلامي- بيروت. الطبعة الأولىٰ (١٣٩٠ هـ).

(١١٣) المصنف في الأحاديث والأثار: أبو بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي= ابن أبي شيبة تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار التاج – بيروت ، تصوير مكتبة الرشد (١٤٠٩هـ) .

(١١٤) معجم الشعراء : محمد بن عمران المرزباني ، تحقيق : د/ فاروق أسليم ، دار صادر — بيروت ، الطبعة الأولىٰ (١٤٢٥ هـ) .

(١١٥) المعجم : لأبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد (ابن الأعرابي) تحقيق: عبدالمحسن بن ابراهيم بن أحمد الحسيني. دار ابن الجوزي- السعودية. الطبعة الأولىٰ (١٤١٨هـ- ١٩٩٧ م).

(١١٦) المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب= الطبراني. تحقيق: طارق عوض الله، وعبد المحسن الحسيني. دار الحرمين، مصر الطبعة الأولىٰ (١٤١٥هـ) .

(١١٧) المعجم الصغير: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب= الطبراني. مع تخريجه (الروض الداني). تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير. ، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولىٰ (١٤٠٥هـ).

(١١٨) المعجم الكبير: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، الدار العربية للطباعة- بغداد، مصورة دار البيان العربي ، الطبعة الأولىٰ (١٣١٩هـ).

(١١٩) معرفة الصحابة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني ، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. دار الوطن . السعودية. الطبعة الأولىٰ (١٤١٩هـ) .

(١٢٠) معرفة علوم الحديث: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري . تحقيق: السيد معظم حسين. المكتبة العلمية، بالمدينة المنورة.

الطبعة الثانية (١٣٩٧ هـ).

(١٢١) المعرفة والتاريخ: أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي. تحقيق: د/ أكرم ضياء العمري. مكتبة الدار- المدينة المنورة. الطبعة الأولىٰ (١٤١٠هـ) .

(١٢٢) المغني عن حمل الأسفار : أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، تحقيق أشرف عبد المقصود ، مكتبة طبرية – الرياض ، الطبعة الأولىٰ (١٤١٥ه) .

(١٢٣) المغني في الضعفاء : الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق د/ نور الدين عتر ، دار الكتب الحديثة (١٣٩٦هـ) .

(١٢٤) المفهم شرح تلخيص صحيح مسلم : أبو العباس القرطبي ، تحقيق : محيي الدين مستو وجماعة ، دار ابن كثير – بيروت .

(١٢٥) مكمل إكمال المعلم : محمد بن يوسف السنوسي ، تصوير دار الكتب العلمية – بيروت.

(١٢٦) من أجل النجاح : د / عبد الكريم بكار ، دار السلام ، الطبعة الأولىٰ (١٤٣١هـ) .

(١٢٧) المنتخب من مسند عبد بن حميد : عبد بن حميد ، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي ، عالم الكتب- بيروت . الطبعة الأولىٰ (١٤٠٨ هـ) .

(١٢٨) منهاج السنة النبوية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، تحقيق د : محمد رشاد سالم ، مؤسسة قرطبة (١٤٠٦هـ) .

(١٢٩) منهج الإسلام في تربية الإرادة : د / مصطفىٰ زيد ، دار اليسر ، الطبعة الأولىٰ (١٤٣٠هـ).

(١٣٠) منهج الإمام أبي عبد الرحمن النسائي في الجرح والتعدي : د/ قاسم علي سعد ، دار البحوث – الإمارات ، الطبعة الأولىٰ (١٤٢٢هـ) .

(١٣١) نثر الدر : منصور بن الحسين الآبي ، تحقيق : خالد عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولىٰ (١٤٢٤هـ) .

(١٣٢) هدي الساري (مقدمة فتح الباري) : الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية ، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ) .

فهرس الموضوعات